

✦ من السياسة الآن ترك السياسة

المشرف العام

✦ نداء حار إلى شباب الإسلام

الإمام الألباني

✦ الدعوة السلفية فرق بين الناس

الدكتور عبد المولى البشير

✦ منهج السلف أسلم وأعلم وأحكم

الدكتور صالح السحيمي

✦ كلمة التوحيد أساس توحيد الكلمة

الأستاذ عادل أحمد الشريدة

✦ السلفية وتشويه العابثين

الدكتور عبد العزيز العتيبي

✦ فقه السعة

الدكتور مبارك الخصاونة

✦ علم العلل والمعاني في فقه

الصحابة الاجتهادي

الدكتور إياد العكيلي

✦ هل أكثر علماء الأمة أشاعرة؟

الدكتور راشد المرزوقي



عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال:
علمنا النبي ﷺ خطبة الحاجة في النكاح وغيره: «إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره،
ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل الله فلا
هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.
ثم يقرأ ثلاث آيات:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَكُمْ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ
الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ قَرِيبًا﴾ [النساء: ١].
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ
بُطِعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠ و٧١].

أما بعد، ثم يذكر حاجته.

رسالتنا إلى:

- ١- طلاب العلم السلفيين؛ ليزدادوا بصيرة في منهجهم، وثباتاً عليه.
- ٢- حديثي العهد بالسلفية؛ لئلا ينخدعوا بما يجعجع به أذعياء السلفية وأصحاب المناهج المنحرفة من شبهات خطافة.
- ٣- عوام المسلمين؛ ليميزوا الحق عن الباطل، وينكشف لهم ضلال أهل الأهواء والبدع.
- ٤- الملبس عليهم من متففي المسلمين؛ لتذهب الغشاوة التي غطت أبصارهم وبصائرهم قبل أن يستفحل الداء، وتتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلبُ بصاحبه.
- ٥- أهل الأهواء والبدع لدحض شبههم، وبيان حقيقة الدعوة السلفية لهم.
- ٦- علماء الدعوة السلفية الأحرار ليتعاونوا فيما بينهم للقضاء على كل المظاهر السلبية التي تظهر بين السلفيين.

رؤيتنا

١- ترسيخ المنهج السلفي في نفوس دعاة بأدلته من الوحيين وبيان خصائصه وشرح ميزاته.

٢- السعي الحثيث للإصلاح بين السلفيين وتوحيد كلمتهم.

٣- متابعة أخبار السلفيين في كل الأقطار ليحصل التواصل والتعارف بينهم .

٤- التعريف بجهود علماء الدعوة السلفية في خدمة الإسلام والدفاع عن قضايا المسلمين.

٥- توحيد الخطاب السلفي في الأحداث المعاصرة.

٦- إظهار حقيقة أهل السنة والجماعة بأنهم أعلم الناس بالحق وأرحم الخلق بالخلق من خلال صور التراحم والتعاطف والتوادد التي كانت بين السلف الصالح.



المشرف العام
الدكتور سليم بن عيد الهلالي

الهيئة الاستشارية

الدكتور إياد العكيلي

الدكتور بهاء الدين الآغا

الدكتور عبد المولى البشير

الدكتور عيسى الجدي

الدكتور عبد الواحد اللهيبي

ترحب أسرة تحرير المجلة بمقالات الباحثين وملاحظات القراء على البريد الإلكتروني التالي

almgala.assalafih@gmail.com

فهرس الموضوعات

٥	الهيئة الاستشارية
١٠	المشرف العام
١٣	الأستاذ طلال الرشيدى
١٦	محدث العصر الألبانى
١٨	الدكتور عبد الله المغربى
٢١	الدكتور نور الدين ناصر الدين
٢٥	الدكتور عبد المعز البحرى
٣١	الدكتور عبد المولى البشير
٣٥	الدكتور صالح السحيمى
٤٥	الأستاذ عادل أحمد الشريدة
٤٨	د. عبد العزيز بن ندى العتيبى
٥٣	الأستاذ هاشم الهاشمى
٥٥	الأستاذ سعيد الغامدى
٥٦	الدكتور محمد سعيد رسلان
٥٨	الأستاذ مبارك فوزى الخصاونة
٦٠	د.إياد العكلى
٦٧	الدكتور راشد المرزوقى
٨١	أسرة التحرير
٨٢	

التوحيد وأثره فى اجتماع الكلمة
من السياسة الآن ترك السياسة
إعلام الخلف بوجوب اتباع منهج السلف
نداء حار إلى شباب الإسلام
السلفيون بين الاحتواء والإقصاء
لا تظلموا السلفية
السلفية منهج الإسلام
الدعوة السلفية فرق بين الناس
منهج السلف أسلم وأعلم وأحكم
كلمة التوحيد أساس توحيد الكلمة
السلفية وتشويه العابثين
تحذير الطلاب من التصدر فى
العلم قبل التأهل
ماذا يعنى حبك للدعوة السلفية؟
لا تشغل نفسك بغيرك
فقه السعة
علم العلل والمعاني فى
فقه الصحابة الاجتهادى
هل أخطر علماء الأمة أشاعرة؟
فضل تصحيح النية قبل النوم
هل من مجيب؟!

التوحيد وأثره في اجتماع الكلمة

الهيئة الاستشارية

تكلم أناس كثيرون في التآلف والتراحم ونبذ الفرقة والابتعاد عن البغضاء والشحناء، ولا يزال الكلام بالمرء في هذه القضايا واستحسانها ونبذ ما يناقضها حتى يوقعه في شيءٍ من الشطط والبعد عن الحق؛ لأنه نظر إليها من حيث حسنها في نفسها، ولم ينظر في مدى مشروعيتها وسيلته إليها.



وانقسم الناس في نظرتهم للتآلف أقسامًا كثيرة، وخفضوا ورفعوا في شأنها؛ فمنهم: من جعل التآلف مقصدًا يعلو على جميع المقاصد، وضحى بالقيم والأخلاق والدين من أجله، وكان همه أن ينشأ مجتمعٌ يحترم الآراء والمعتقدات بغض النظر عن صحتها أو فسادها وبطلانها في ذاتها، وما تؤدي إليه من أفعال، ما لم تصل هذه الأفعال إلى الضرر الديني. ولا يخفى ما في هذه النظرة من المادية والنزوح بالنفس البشرية عن الوحي والغيب إلى عالم المادة والواقع وإغفال ما سواهما. وآخرون حاولوا الحفاظ على القيم

لكن بقدر ما يسمح به مبدأ احترام الرأي، وجعلوا الشرع تابعًا للأهواء البشرية، فما رأى الناس أنه يمكن أن يتعايشوا معه استحسنوه من أمور المعتقد والأحكام، وما ليس كذلك ردوه وأبطلوه بحجة أنه يثير الخلاف. وكان محصلة هذين الرأيين النزول ببعض القضايا عن مرتبتها في الشرع إلى مرتبة الاحتياط والمحاذرة في التعامل معها، فخلصوا إلى عدم أولوية العقيدة في حياة الناس، وذلك من أجل عدم التفرقة وإشاعة الخلاف، وهذه الشبهة بدرجة من الشهرة تغني عن عزوها؛ لأنها تتردد من أطيافٍ مختلفة عقديًا ومنهجياً، لا

تجمع بينها إلا هذه الخصلة.

يسبُّ فيها السلف» (٢).

فليس كل اجتماع يكون محمودًا شرعًا، بل العبرة بما يجتمع عليه المجتمعون، فإن كان خيرًا ندب إليه، وإن كان شرًّا نهى عنه.

ثانيًا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات أهل الإيمان، وأول ذلك الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك؛ قال الله سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

قال ابن عطية: «وقوله: ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ يريد: بعبادة الله وتوحيده وكل ما أتبع ذلك، وقوله: ﴿عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ يريد عن عبادة الأوثان وكل ما أتبع ذلك، وذكر الطبري عن أبي العالية أنه قال: كل ما ذكر الله في القرآن من الأمر بالمعروف؛ فهو دعاء من الشرك إلى الإسلام، وكل ما ذكر من النهي عن المنكر فهو النهي عن

ولذلك وجب بيان أولوية العقيدة في حياة المسلم، وأنها لا تناقض الرحمة والتألف؛ خلاف ما يصوره بعض الناس، وذلك بضوابط منها:

أولًا: نبذ الخلاف ليس مقصودًا لذاته؛ كما أن الاجتماع ليس مقصودًا لذاته؛ ولذا لم تمدح الشريعة كل اجتماع، ولم تدم كل خلاف؛ فالاجتماع على الباطل ليس محمودًا، والباطل هو ما خالف الشرع بفعل محرم وترك واجب، وأشد ذلك ما تعلق بباب الاعتقاد؛ قال الله سبحانه: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيَسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثَلْتُمْ إِنْ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «دخل في هذه الآية كل محدث في الدين، وكل مبتدع إلى يوم القيامة» (١).

قال ابن القاسم: سمعت مالكا يقول: «لا يحل لأحد أن يقيم بأرضٍ

(١) «بحر العلوم» (١/ ٣٤٩)، «الكشف والبيان»

(٣/ ٤٠٣).

(٢) «القبس» (١١٥٤).

ويقابل التوحيد الشرك في العبادة،

فهو التفرقة في الدين التي نهى الله عنها، فقال سبحانه: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِبَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢].

ومرد هذا الاختلاف والتنازع إلى اشتباه الحقِّ بالباطل وخفائه، وسبب ذلك عدم العلم الذي يميّز بين الحق والباطل^(٥).

رابعاً: الاتباع قبل الاجتماع، فلو افترضنا أن رسول الله ﷺ حي بين أظهرنا يوحى إليه ما كان لنا أن نختلف، وإذا اختلفنا؛ فإن النار حظ العاصي لأمر رسول الله ﷺ، وكذلك الأمر بعد وفاته، وعند اختلاف الناس؛ فإن الفيصل بينهم في قضايا المعتقد هو قول رسول الله ﷺ وفعله وما ترك عليه أصحابه؛ ولذا قال: «فإنه من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثةٍ

عبادة الأوثان والشياطين»^(٣).

فلا يكون الإيمان والولاية إلا بتحقيق هذا المعنى؛ وهو: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، وهذه المعاني لا تأتي مع فساد المعتقد.

ثالثاً: العقيدة الصحيحة لا تفرّق الناس، بل هي الأصل الجامع لهم، وهي الحبل الذي أمروا بالتمسك به، ولكن تفرقتهم تأتي من جهة تعمد مخالفتها وتنكب ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه في الإيمان والعمل؛ ولذا أمر الله بالتمسك بالدين، وجعل تركه تفرقاً، وليس العكس، قال سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَهُهُ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

فالدين المأمور بإقامته؛ هو: «توحيد الله وطاعته، والإيمان برسوله وكتبه وبيوم الجزاء، وبسائر ما يكون الرجل بإقامته مسلماً»^(٤).

(٣) «المحرر الوجيز» (٣/ ٥٨).

(٤) «تفسير القرطبي» (١٦/ ١٠).

(٥) «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (١/ ١٩٧).

بدعةً، وكل بدعة ضلالة»^(٦).

فهل بدأ النبي ﷺ الناس بغير التوحيد؟! وهل دعاهم إلى غيره مع علمه بعدم استقرار المعتقد في قلوبهم؟!!

خامساً: جماعة المسلمين إذا أطلقت؛ فالصحابه علم عليها، فلا بد من موافقتهم في المعتقد؛ لأنهم كانوا فيه على منهج واحد، فلفظ الإيمان والإسلام والتقوى والحق والضلال كلها حقائق شرعية، وليست عرفية، وقد زكى القرآن هذه المعاني عند الصحابة، ووصفهم بها، فلا يمكن الخروج عما كانوا عليه أو مخالفته؛ لأن ذلك مخالفة للحق ومفارقة للجماعة الأم وهم الصحابة، ولا يتأتى هذا المعنى في حياة الناس بصورة ظاهرة إلا بتفسير هذه المعاني وإعطائها حقها من التفسير والشرح، والمحافظة عليها، وضرورة الالتزام بها كما كانت عندهم، وقد نزل في القرآن على

النبي ﷺ أولوية المعتقد - وخصوصاً باب العبادة - في دعوة الرسل وجمع الناس على ذلك؛ قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وهذا الحد متفق عليه بين جميع الرسل في دعوتهم، فكيف لا تكون له الأولوية، قال عليه الصلاة والسلام: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات؛ أمهاتهم شتى ودينهم واحد»^(٧).

قال المناوي: «أي: أصل دينهم واحد؛ وهو: التوحيد، وفروع شرائعهم مختلفة، شبه ما هو المقصود من بعثة جملة الأنبياء - وهو إرشاد الخلق - بالأب، وشبه شرائعهم المتفاوتة في الصورة بأمهات»^(٨).

سادساً: الفرق الغالية التي استحلت دماء المسلمين وفارقت الجماعة ليست انعكاساً لقضية أولوية العقيدة، بل هي نتاج مقررات عقديّة فاسدة ومجتزأة، فبعض الفرق

(٦) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وصححه ابن ماجه (٤٣)، وأحمد (١٧١٤٤)، وصححه ابن حبان (٥)، والحاكم (٣٢٩)، وابن عبد البر في جامع البيان (١١٦٤ / ٢)، وابن تيمية في منهاج السنة (١٦٤ / ٤).

(٧) أخرجه البخاري (٣٢٥٩).

(٨) «فيض القدير» (٤٧ / ٣).

طرح عقديّ منضبط كما يصوّره
مناوئو منهج السلف الصالح.
فإذا تبين هذا؛ فإن الدعوة للعقيدة
الصحيحة مقيدة بمعناها الوارد في الشرع،
المصحوب بالحرص على الأمة والرحمة
بها، ومراعاة الخلاف، واستحضار العذر
لصاحبه، ومحاولة ردّ الناس إلى الحقّ وإلى
الأصل، وليست تميّزاً عن الأمة، ولا تفريقاً
لها؛ لأن الأمة الحقيقية هي الأمة المعتصمة
بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، الأمرة بالمعروف
الناهية عن المنكر، وليست هي الأمة المتخلية
عن أعزّ شيء عندها وهو عقيدتها؛ لتألف
فيما بعد ذلك على أمور حياتية زائلة لا قيمة
لها في الحياة، فكيف بالشرع؟!
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب
العالمين

قال الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

«وانما يعمل أهل الباطل وينشطون
عند اختفاء العلم، وظهور الجهل،
وخلو الميدان ممن يقول: قال الله،
وقال الرسول؛ فمعد ذلك يستأسدون
ضد غيرهم، وينشطون في باطلهم؛
لعدم وجود من يخشونهم من أهل
الحق والإيمان وأهل البصيرة».

«مجموع الفتاوى» (٤/٦٠).

لا تدرس العقيدة بشموليتها، وإنما
تدرس فقط نواقض الإسلام وتقرّرها
في أبواب معينة مثل الحاكمية وغيرها،
وهذا التقرير عادة ما يخطئون فيه من
ناحيتين:

الأولى: أن التقرير في نفسه يكون مخالفاً
لعقيدة السلف، ومتخيّراً فيها لبعض
الألفاظ المتشابهة التي توافق في ظاهرها
الشهوة السياسية لبعض التوجهات
الخاصة لهذه المجموعات.

الثانية: الخطأ في التنزيل؛ فعادة ما
ينزلونها في غير محلّها، فيقومون بتطبيق
بعض الأحكام التي لا يقوم بها إلا الخليفة
أو نائبه من نحو اعتبار الأمان والذمة
والعهد وتطبيق الحدود والحكم على
الناس، فيفتاتون على الشرع وعلى الأمة،
ويقومون بأفعال لا يخوّلهم الشرع إياها لو
كانوا أمراء، فضلاً عن كونهم مجموعاتٍ
منبوذة لو جمعت من جميع أقطار الدنيا
ما كانت تمثّل نسبة معتبرة في الأمة،
مع غياب خيار الأمة -علماء وصلحاء
وموجهين- عنهم ومخالفتهم لهم.

وهم في حقيقتهم نتاج واقع مركب
من الظلم والجهل والبعد عن الشرع
وعما كان عليه السلف، وليسوا نتاج

من السياسة الآن ترك السياسة

المشرف العام

(من السياسة - الآن - ترك السياسة) جملة قد لا تستسيغها ابتداء عند سماعها؛ لأنها تعني لك إن لم تدرك مقاصدها، وتعرف مراميها، وتربى على دالاتها نهاية النهاية، وتغلق كل الأبواب، وأنها سُلم من فترات همته، وتقاعست عزيمته، وتأمّر على أمته. وقد تسميها في حالات الإغلاق (بوابة الجبن)؛ التي يتسلل منها الذين تولوا يوم الزحف مدبرين...!!



فبالسياسة الشرعية؛ لأن السياسة الشرعية معناها: رعاية شؤون الأمة، بما لا يخالف الكتاب والسنة وثوابت منهج سلف الأمة... لكن السلفيين يؤمنون بالتدرج: الذي هو سنة الله الكونية في كل شيء، ويوقنون بالتسلسل الصحيح الذي يركز على منطق الأشياء، ويقوم على سنن الشرع في آن واحد! حتى عندما يأتي اليوم الذي سيدخل فيه السلفيون السياسة الشرعية ليهدبوا بها السياسة العصرية: من خداعها، ونفاقها، وخيانتها، وغدرها، وتلونها، وتحولها.. إلخ. أقول: عندما يأتي هذا اليوم - لا ريب فيه - فإن أزمّة هذا العمل ستبقى في يد أهل العلم والحل والعقد والخبرة: الذين يسوسون الأمة

فبالسياسة - الآن - بكل ألوانها، وجميع أطرافها، في نظر أكثر بني قومي تمثل الهواء الطلق الذي يطير ويحلق أحدهم وينطلق، أو الماء العذب الذي تكرر منه الأمة بهناء وحبّ. ... لكنها عند من تأملها وعرف مغزاها حق المعرفة بصمة تركها شيخنا (الألباني) رَحِمَهُ اللهُ عَلَى غرة العمل الإسلامي المعاصر؛ لأنها انبثقت من نظرة شرعية شمولية، وتجربة حياتية متكاملة، قامت على أساس متين من العقيدة والمنهج، وفقه لواقع الأمم والشعوب، يركز على علم سنن الله الكونية والشرعية: إن السلفيين لا ينكرون الاشتغال

سيقول رحم الله العلامة الألباني لقد سبق أقرانه وأهل قرنه في مقولته: من السياسة -الآن- ترك السياسة.

ماذا سيقول ذلك المثقف السياسي الذي أبى إلا أن يكون عالي الجودة السياسية؛ فإذا به يسمع ويرى (القوة الخفية) تصنع السياسة في (الدهاليز)، وتجهزها خلف (الأبواب)، وتعرضها في (الغرف المعتمة)، وأن تمثلها على خشبة المسرح الذين يراهم المشاهدون، ويصفق لهم المعجبون، ويصفر لهم المهرجون، ويهتف لهم أصحاب الحناجر المللعة: ما هم إلا دمي على رقعة الشطرنج، وأن ألقابهم ورتبهم كما قيل:

ألقاب مملكة في غير موضعها

كأهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد

إنه سيرجع القهقري ويقول: نعم من السياسة -الآن- ترك السياسة.

ماذا سيقول من أمضى نصف عمره يقلب صفحات الجرائد، ويجمع قصاصات الصحف، أو دفع نصف عمره وهو ينتقل أمام الفضائيات، أو أنهى عمره في قراءة مذكرات فلان ويوميات علان، ثم اكتشف في لحظة مواجهة مع نفسه وقد عرضها على مرآة نفسه: أنه يدور في حلقة مفرغة،

كل في مجال عمله، وفي ميدان تخصصه، وأما أن يستغل (الروبيضة) ممن ليس بيده شيء من الأمر؛ فيتكلم في أمر العامة، ويشغلها عن حقيقة واقعها، ومآل أمرها؛ فذاك ضيعة وإضاعة ومضيعة... «وكفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول»!! لأن التحرك السياسي في أي مجتمع مسلم لا يُحْكَم بالشرع سيكون دماراً وبواراً.

ماذا سيقول من ينكر مقولتنا هذه وهو يرى أولئك الحركيين الذين تلطخوا بالانتخابات، ودارت بهم عجلة البرلمان، كيف كان حالهم؟ وكيف صار مألمهم؟ وكيف خيبوا آمال قواعدهم الشعبية؟! ورفعوا الراية البيضاء أمام الدولار (\$) واليورو (€) والباوند (£).

دخلوا ليغيروا؛ فتغيروا...! عاهدوا الله على نصره الشريعة والمطالبة بتحكيمها؛ فصوتوا على مدنية الدولة وعلمانيتها التي ينتسبون إليها، وترضعهم من لبانها...!! إنه سيقول بملء فيه مما هو فيه: من السياسة -الآن- ترك السياسة.

وماذا سيقول من يسمع كثيراً من الحركيين ينادون إخوانهم في التنظيم، ويدعون أقرانهم في الحزب إلى ترك العمل السياسي بكل مفرداته.

قال الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ:

واقع كثير من شباب الصحوه المزعومة -اليوم-، الذين يرد بعضهم على بعض، ويظن بعضهم في بعض للضيقنة لا النصيحة، ووصل تعديهم وشهرهم إلى بعض العلماء وأفاضلهم، ونبزههم بشتى الألقاب، غير متأدبين بأدب الإسلام؛ «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويعرف لعائلنا حقه» ومغرورين بتف من العلم جمعوه من هنا وهناك حتى توهموا أنهم على شيء وليسوا على شيء كما جاء في بعض أحاديث الفتن (انظر الصحيحة ١٦٨٢)، وصرخوا قلوب كثير من الناس عنهم بأقوال وفتاوى يبنون على جهل بالغ مما يذكرنا بأنهم من الذين أشار إليهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله في الحديث الصحيح «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا واطلوا». متفق عليه

«السلسلة الضعيفة» (٥٥٧/١٤)

وأنه يسعى وراء السراب، وأن ما يريده قد كفاه الله مؤنته منذ قرون ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَيُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

إنه سيقول -بكل قوة وجرأة وثقة وتحذ وثبات-: من السياسة -الآن- ترك السياسة. ولكننا سنقول له ولكل المحبطين -بكل أريحية تامة تملأ نفوسنا، وبكل طمأنينة كاملة تعيش في جوانحنا- مقولة شيخنا (الألباني) بكاملها وتماهما: ليس من السياسة - الآن - ترك السياسة.

الآن .. الآن ... وليس غداً عندما نقدم للعالم كله مشروعنا الحضاري: القائم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وثوابت المنهج السلفي، الذي تؤكد الأدلة العقلية والنقلية: أن المستقبل له وحده، بإذن الله وحده.

قد لا ندركه أو لا نراه لكنه يعيش في ضمائرنا حياً، ويتربع على عرش قلوبنا صافياً، ونعلم علم اليقين أن بذرتة ألقيت في أرض خصبة، ستعطي أكلها ولو بعد حين: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [سورة الإسراء: ٥١].

إعلام الخلف بوجوب اتباع منهج السلف

الأستاذ طلال فريحان الرشيدي

تضافرت أدلة الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة على أن الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** هم خير القرون على الإطلاق؛ لما لهم عند الله من المنزلة العالية والمكانة السامية، فقد مدحهم ربهم، وزكاهم من فوق سبع سموات، ومدح من اتبع سبيلهم، وسار على هديهم، وذم من خالفهم، وكل ذلك يؤكد وجوب الاقتداء بهم **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**، وسنقتصر في هذه العجالة على أدلة الكتاب في وجوب اتباع منهج الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** في فهم الدين.



أَتَّبَعُوهُمْ **بِإِحْسَانٍ** الذين اتبعوا السابقين الأولين من المهاجرين و الأنصار، وهم المتأخرون عنهم من الصحابة فمن بعدهم إلى يوم القيامة^(٢).

وقال السعدي **رَحِمَهُ اللَّهُ** عند قوله: **﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾** بالاعتقادات والأقوال والأعمال؛ فهؤلاء هم الذين سلموا من الدم، وحصل لهم نهاية المدح و أعظم الكرامات من الله^(٣).

٢- قال تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ النَّاسِ وَيَكُونَ**

(٢) «فتح القدير» (٢/ ٣٩٨).

(٣) «تفسير السعدي» (ص ٣٤٩).

١- قال تعالى: **﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** [التوبة: ١٠٠].

قال ابن كثير **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «يخبر تعالى عن رضاه عن السابقين من المهاجرين و الأنصار والتابعين لهم بإحسان ورضاهم عنه بما أعد لهم من جنات النعيم المقيم»^(١).

وقال الشوكاني **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «ومعنى **﴿وَالَّذِينَ**

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٣٤٨).

لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشریفاً لهم وتعظيماً لنبیهم»^(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «إن كلاً من الوصفين يقتضي الوعيد؛ لأنه مستلزم للأخر.. فهكذا مشاقفة الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين، ومن شاقفه فقد اتبع غير سبيلهم وهذا ظاهر، ومن اتبع غير سبيلهم فقد شاقفه أيضاً، فإنه قد جعل له مدخلاً في الوعيد، فدل على أنه وصف مؤثر في الدم، فمن خرج عن إجماعهم فقد اتبع غير سبيلهم قطعاً، والآية توجب ذم ذلك»^(٥).

٤- قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

فقد وصف الله عز وجل الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بِأكمل الصفات و أجل الأحوال، فهم مجتهدون

(٤) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٣٦٥).

(٥) «مجموع الفتاوى» (١٩٣/١٩ - ١٩٤).

الرَّسُولَ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

فقد جعلهم الله تبارك وتعالى أفضل الأمم وأعدلها: في العقيدة، والقول، والعمل، فاستحقوا بذلك أن يكونوا شهداء على الناس، فإذا كانت شهادتهم عند الله مقبولة؛ فلا شك أن فهمهم لنصوص الشريعة حجة على من بعدهم؛ لذلك أمر رب العزة باتباع سبيلهم؛ فقال: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥]، وجيل الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ خير من أناب إلى الله واستجاب؛ فوجب اتباع سبيلهم في فهم دين الله تبارك وتعالى، ولذلك هدد الله تعالى وتوعد من اتبع غير سبيلهم بجهنم وبئس المصير.

٣- كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ أَجْهَنَّهُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

قال ابن كثير رحمه الله: «أي: ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول ﷺ؛ فصار في شق و الشرع في شق عن عمد منه بعد ما ظهر له الحق وتبين له واتضح، وقوله: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هذا ملازم للصفة الأولى، ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع، وقد تكون لما اجتمعت عليه الأمة المحمدية فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقاً، فإنه قد ضمنت

بعد الصحابة بالإيمان؛ لأن قولهم: ﴿سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ﴾ دليل على المشاركة فيه، و أنهم تابعون للصحابة في عقائد الإيمان و أصوله، وهم أهل السنة و الجماعة، الذين لا يصدق هذا الوصف التام إلا عليهم؛ فوجب اتباعهم و اقتفاء أثرهم^(٦).

٦ - وقال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ ءَاهْتَدُوا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: «يقول الله تعالى: فإن آمنوا؛ يعني الكفار من أهل الكتاب وغيرهم بمثل ما آمنتم به يا أيها المؤمنون، و الإيمان بجميع كتب الله و رسله و لم يفرقوا بين أحد منهم، فقد اهتدوا؛ أي: أصابوا الحق، و أرشدوا إليه^(٧)».

ووجه الدلالة: أن الله سبحانه و تعالى جعل إيمان الصحابة معياراً للصحة إيمان من بعدهم؛ فدل على وجوب اتباعهم و التمسك بغرزهم، و الابتعاد عن السبل المهلكة، و بنيات الطريق المؤتفكة، و الله الهادي^(٨).

(٦) «تفسير السعدي» (ص ٨٥١).

(٧) «تفسير القرآن العظيم» (١ / ٣٢٢).

(٨) من «لماذا اخترت المنهج السلفي» للدكتور سليم الهلالي باختصار.

في نصرة دين الله عز و جل، و ساعون في ذلك بغاية جهدهم، فلذلك ذلَّ أعداؤهم لهم.

وهم كذلك متحابون متراحمون كالجسد الواحد، كما مدحهم ربهم ظاهراً؛ فقال: ﴿تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا﴾، و مدحهم باطناً؛ فقال: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾، و مدحهم قبل أن يخلقوا؛ فقال: ﴿ذَلِكَ مِثْلَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلَهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَجٍ أَخْرَجَ شَطْرَهُ﴾؛ و هذه أيضاً صفة للطائفة المنصورة أهل الحديث الذين اقتفوا أثر جيل القدوة الأول محمد ﷺ و صحبه.

و تعمَّد إغاطة الكفار يوحى بأن هذه الطائفة هي غرس غرسه الله بيده، و تعهده رسول الله ﷺ بالتربية على عينه؛ فهي من دلائل قدرة الله؛ لأنها أداة لإغاطة أعداء الله الذين يعملون على إطفاء نور الله، و إخماد جذوته في نفوس المسلمين، و لكن الله متم نوره و لو كره المشركون، و مظهر دينه، و لو كره الكافرون، و لذلك ترى أهل البدع يعادون أهل الحديث في كل عصر و مصر.

٥ - وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ: «فوصف الله من

نداء حار إلى شباب الإسلام

الإمام محدث العصر الألباني رحمه الله

أقول وأخصُّ به المسلمين الثقات، المتمثلين في الشباب الواعي، الذي عرف أولاً مأساة المسلمين، واهتم ثانياً بالبحث الصادق وبكل ما أتته من قوة...بيننا الملايين من المسلمين مسلمون بحكم الواقع الجغرافي؛ فهؤلاء لا أعينهم بالحديث. أعود؛ فأقول: إن الخلاص على أيدي هؤلاء الشباب يتمثل في أمرين لا ثالث لهما: التصفية والتربية.

وكانوا يعبدون غير الله تبارك وتعالى من جهة أخرى.

نحن نخالف كل الحركات الإسلامية في هذه النقطة، ونرى أنه لا بد من البدء بالتصفية والتربية معاً، أما أن نبدأ بالأمر السياسي، والذين يشتغلون بالسياسة قد تكون عقائدهم خراباً، وقد يكون سلوكهم من الناحية الإسلامية بعيداً عن الشريعة، والذين يشتغلون بتكثيل الناس وتجميعهم على كلمة «إسلام» عامة ليس لهم مفاهيم واضحة في أذهان هؤلاء المتكثّلين حول أولئك الدعاة، ومن ثم ليس لهذا الإسلام أي أثر في منطلقهم في حياتهم، ولهذا تجد كثيراً من هؤلاء وهؤلاء لا يحققون الإسلام في

التصفية: وأعني بالتصفية: تقديم الإسلام على الشباب المسلم مصفىً من كل ما دخل فيه على مرّ هذه القرون والسنين الطوال: من العقائد ومن الخرافات ومن البدع والضلالات، ومن ذلك ما دخل فيه من أحاديث غير صحيحة قد تكون موضوعة، فلا بد من تحقيق هذه التصفية؛ لأنه بغيرها لا مجال أبداً لتحقيق أمنية هؤلاء المسلمين، الذين نعددهم من المصطفين المختارين في العالم الإسلامي الواسع.

فالتصفية هذه إنما يراد بها تقديم العلاج الذي هو الإسلام، الذي عالج ما يشبه هذه المشكلة، حينما كان العرب أذلاء، وكانوا من مستعبدين فارس والروم والحبشة من جهة،

ذوات أنفسهم.

يعني: أنه لا بد من تربية المسلمين اليوم على أساس ألا يفتنوا كما فُتِنَ الذين من قبلهم بالدنيا.

ويقول الرسول ﷺ: «ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم: أن تُفتَحَ عليكم زهرة الحياة الدنيا، فتهلككم كما أهلكت الذين من قبلكم».

مرض يجب على المسلمين أن يتحصنوا منه، وأن لا يصل إلى قلوبهم: «حب الدنيا وكراهة الموت»، إذا فهذا مرض لا بد من معالجته، وتربية الناس على أن يتخلصوا منه. الحل وارد في ختام حديث الرسول عليه الصلاة والسلام: «حتى ترجعوا إلى دينكم»؛ حيث يتمثل الحل في العودة الصحيحة إلى الإسلام، الإسلام بالمفهوم الصحيح الذي كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته^(١).

ولقد نصحني شيخي العلامة طاهر الجزائري نصيحة حفظت أوقاتي من الضياع وفكري من البلبلة؛ قال: «إذا أحببت النجاح فلا تلق بأذنك لما يقال فيك من خير وشر، وارم ببصرك إلى الهدف الذي يعينك، وإذا وضع في طريقك حجر فتنح عنه، وعد إلى سلوك محجتك».

«مذكرات محمد كرد علي» (١/٢١٣).

(١) انظر «جامع تراث الألباني في المنهج والأحداث الكبرى» (٢/١٠٤) بتصرف.

وفي الوقت نفسه يرفع هؤلاء أصواتهم بأنه لا حكم إلا لله، ولا بد أن يكون الحكم بما أنزل الله؛ وهذه كلمة حق، ولكن فاقده الشيء لا يعطيه؛ لأن العلة الكبرى: بعدهم عن فهم الإسلام فهماً صحيحاً، كيف لا وفي الدعاة اليوم من يعد السلفيين بأنهم يضيعون عمرهم في التوحيد، ما أشد إغراق من يقول مثل هذا الكلام في الجهل؛ لأنه يتغافل - إن لم يكن غافلاً حقاً - عن أن دعوة الأنبياء والرسل الكرام كانت ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

بل إن نوحاً عليه السلام أقام ألف سنة إلا خمسين عاماً، لا يشرع ولا يقيم سياسة؛ بل: يا قوم اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت.

هل كان هناك تشريع؟ هل كان هناك سياسة؟ لا شيء؛ تعالوا يا قوم اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت، فهذا أول رسول - بنص الحديث الصحيح - أرسل إلى الأرض، استمر في الدعوة ألف سنة إلا خمسين عاماً لا يدعو إلا إلى التوحيد، وهذا هو شغل السلفيين الشاغل، فكيف يسفه كثير من الدعاة الإسلاميين وينحطوا إلى درجة أن ينكروا ذلك على السلفيين.

التربية: والشطر الثاني من هذه الكلمة؛

السلفيون بين الاحتواء والإقصاء

الدكتور عبد الله المغربي

السلفية هي الاتجاه المقدم للنصوص الشرعية على البدائل الأخرى منهجاً وموضوعاً، الملتزم بهدي الرسول ﷺ وأصحابه علماً وعملاً، المطرح للمناهج المخالفة لهذا الهدي في العقيدة والعبادة والتشريع. والهجوم على منهج السلف ليس جديداً، بل هو قديم؛ حيث كانت كل طائفة ترى في مذهبها الحق وتُعادي من يخالفه، ولما كان السلف هم الوسط المخالفين لأهل الغلو والجفاء والإفراط والتفريط نالهم من كافة الطوائف المنحرفة ما نالهم، وها نحن اليوم نرى خصوم الدعوة السلفية يتكالبون عليها بشتى القذائف والتهم؛ لتشويه جماها، وتوسيع الهوة بينها وبين المسلمين.

السلفية



بالمعايير الأمريكية لفهم الإسلام. السلفية هي منهج يلتزم الطريقة التي فهم بها سلف هذه الأمة الأختيار - وهم علماء القرون الأربعة الأولى - القرآن الكريم والسنة الثابتة، وهي أيضاً - منهج في الإصلاح يقوم على أن ما صلح عليه أمر المسلمين في أول بزوغ الإسلام هو الذي يصلح به أمر زماننا هذا والأزمان القادمة بعدها وحتى قيام الساعة؛ شعارهم كلمة

بجاربونها؛ لأنها تززع بنيانهم النهار عقدياً وسلوكياً (التمشع والتصوف)، وسعوا لدى شياطينهم في الغرب تأليباً وتحريضاً حتى أضحى أخطر عدو على أمريكا وحلفائها وقوى الكفر بصفة عامة هو السلفية، سلفية الوسطية والاعتدال، سلفية أبي بكر الصديق وليس السلفيات المزورة التي كلها تمثيلات يزاحمون بها السلفية الحقة التي لا تقبل المساومة ولا التلفيق ولا تلتزم

وذلك عن طريق تشجيع تيارات ومناهج أخرى؛ لكي تقوم كبديل للمنهج السلفي في الدول الإسلامية، وترتكز فكرة الاستبدال على وجود رغبة عامة وعارمة لدى الجماهير في التدين، ولسان حالهم يقول: نعم مع الجماهير في التدين، لكن التدين بلبوس آخر، ومقاس معين؛ لأنهم علموا أن فكرة تجفيف منابع التدين واستبدال الدين بأفكار علمانية براقية مخطط فاشل، فبدأ الكثيرون ينتقلون إلى المرحلة التالية؛ وهي: فلندع المسلمين يتدينون كما يريدون، لكن لنقدم لهم نحن المقاس المناسب للتدين.

ولأن خطورة السلفيين بالنسبة لخصومهم في أنهم يقودون الناس إلى التدين بسرعة عجيبة تربط بين الواقع ومصادر التشريع، مع ثبات على المبدأ. وهنا ستبدأ مرحلة جديدة مختلفة تمامًا عن السابق للتعامل مع دعاة السلفية؛ تتمثل فيما يلي على الترتيب:

أولاً: استقطاب دعاة السلفية واحتوائهم من قبل من يمثلون الشأن الديني في البلاد الإسلامية حسب تعبيرهم، وقد نجحوا إلى حد كبير

الإمام مالك الذهبية: «ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها»، وهي التي صاغها العلامة البشير الإبراهيمي بقوله: «لنا في الدعوة الإصلاحية سلفاً صالحاً: يتدئ بأصحاب رسول الله ﷺ ولا ينتهي إلا بقيام الساعة، وإنَّ لهم في بدعهم وضلالاتهم سلفاً طالحاً يتدئ من الشيطان ولا ينتهي إلا بقيام الساعة»^(١).

الحرب اليوم على السلفية حرب الأفكار والعقول حسب تعبير «بول وولفويتز» أحد مهندسي الحرب على العراق، ونائب وزير الدفاع الأمريكي سابقاً، وأحد الصقور الخطيرة في الإدارة الأمريكية في عام (٢٠٠٢م) حين قال: «إن معركتنا هي معركة الأفكار ومعركة العقول»؛ ليصبح الإسلام فارغاً من محتواه الذي ارتضاه الله تعالى القائل في محكم تنزيله: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، الإسلام الذي يريد الله تعالى لا إسلام أمريكا ومن تمسك بخزعبلاتها.

وبعد مؤتمرات ولقاءات خلصوا إلى ضرب العقيدة والفقهاء والحضارة والتاريخ ونظم الاجتماع والتشريع والتعليم وفقه الأسرة واللائحة طويلة؛

(١) آثاره (١/ ٣٣٠).

في بعض البلدان لتنفيذ هذا المخطط عن طريق المناصب والإكراميات وغيرها، فأصبح حال المستقطبين: إما الانسلاخ من ثوب السلفية والبراءة منها والمجاهرة بنقيضها عقيدة وسلوكاً في الخطب والمحاضرات والتأليف، وإما السكوت مع اعتقاده أن الخط الرسالي لهذه المؤسسات الرسمية محض الضلال، لكن نسدد ونقارب.

ثانياً: الإقصاء والتوقيف في حال الخروج عن خط المفاهيم الغربية.

فهذا هو حال السلفية الحققة المفترى عليها عالمياً ومحلياً، لكن خاب سعيهم؛ فإن منابر الدعوة بعدد الأنفاس لمن نشطت قريحته، وصدقت نيته، والله در الحافظ الذهبي في قوله: «الصدع بالحق عظيم يحتاج إلى قوّة وإخلاص: فالمخلص بلا قوّة يعجز عن القيام به، والقوي بلا إخلاص يُخذَل، فمن قام بهما كاملاً فهو صديق، ومن صَعَفَ فلا أقلّ من التأمّل، والإنكار بالقلب، ليس وراء ذلك إيمان، فلا قوّة إلا بالله»^(٢).

فما باننا نحن اليوم

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

«لما أعرض الناس عن تحكيم الكتاب والسنة، والمحكمة إليهما، واعتقدوا عدم الاكتفاء بهما، وعدلوا إلى الآراء والقياس والاستحسان وأقوال الشيوخ؛ عرض لهم من ذلك فساد في فطرهم، وظلمة في قلوبهم، وكدر في أفهامهم، ومحق في عقولهم، وعمتهم هذه الأمور وغلبت عليهم؛ حتى ربي فيها الصغير وهرم عليها الكبير، فلم يروها منكراً فجاءتهم دولة أخرى قامت فيها البدع مقام السنن، والنفس مقام العقل، والهوى مقام الرشد، والضلال مقام الهدى، والمنكر مقام المعروف، والجهل مقام العلم، والرياء مقام الإخلاص، والباطل مقام الحق، والكذب مقام الصدق، والمداهنة مقام النصيحة، والظلم مقام العدل؛ فصارت الدولة والغلبة لهذه الأمور، وأهلها هم المشار إليهم، وكانت قبل ذلك لأضدادها وكان أهلها هم المشار إليهم.

فإذا رأيت دولة هذه الأمور قد أقبلت، وراياتها قد نصبت، وجيوشها قد ركبت؛ فبطن الأرض والله خير من ظهرها، وقلل الجبال خير من السهول، ومخالطة الوحش أسلم من مخالطة الناس».

«الفوائد» (ص ٦٥).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٤٣٤).

لا تظلموا السلفية

الدكتور نور الدين ناصر الدين الخطيب

الميول إلى الظلم سلوك ملازم للإنسان إذا لم ينضبط بالشرع ويعصي هواه، فالإنسان كما قال الله عز وجل عنه: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]؛ ولذلك إذا اختلف الناس وابتعدوا عن الدين لم يكن من رادٍّ لهم إلى الحقِّ إلا بعث الرسل؛ لإبانة الحقِّ ودفع الخلاف، فكان من مقاصد بعثة النبي ﷺ تبيين الحق الذي اختلف فيه الناس، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤].



و حين يختلف الناس؛ فإنهم جميعاً عرضة للسلف.

ولقد تولى كبر تهمة السلفية بالتعصب جمع من المشتغلين بالعلم، وخلائق لا يحصون من أهل الإعلام وحملة الأقلام؛ حتى باتت كالحقيقة المسلم بها عند المتلقي العادي والحيادي، الذي يكسل عن البحث عن الحقيقة، ويكتفي بالوجبات العلمية السريعة. ولنا مع هذا الاتهام وقفات:

أولاً: التعصب داء عام وليس خاصاً بالسلفية، بل هو موجود في جميع الاتجاهات الفكرية، فكثير من المخالفين للسلفية من المنتسبين للمذاهب الفقهيّة المرضية أكثر تعصباً وجوراً، وقد دلّ على ذلك موقفهم

و حين يختلف الناس؛ فإنهم جميعاً عرضة للبغي والظلم، فيمكن أن يقع صاحب الحق في الظلم والبغي، لا من جهة قوله، وإنما من جهة إنكاره لما عند مخالفه من الحقِّ والتجاوز في حقه بردّ كلّ قول قاله، وقد وقع الخلاف في الأمة كما وقع في الأمم قبلها، ووقعت فيما وقع فيه من كان قبلها من الظلم والبغي، ومن ظواهر هذا الظلم والبغي، ترديد اتهام السلفية بالتعصب، وجعله خصوصية وميزة لها من بين جميع المخالفين لها، مع أن من وقع في التعصب من السلفيين وقع فيه بمقتضى بشريته لا بمقتضى منهجه ومذهبه، وهو في ذلك مخالف للمنهج الصحيح وما عليه

بدلاً^(٤)، وجعل يستدلّ لقوله ويقيم البيّنة عليه، وفي الكلام ما فيه من مصادرة المذاهب الأخرى؛ إذ الواجب لا يكون ضده إلا الحرام.

فحاصل الأمر أنّ إصااق التعصّب بالسلفية وتبرئة غيرها منه خطأ علمي من ناحيتين:

الأولى: أنّه وجد عند خصوم السلفية من مظاهر التعصّب ما لم يوجد عند غيرهم، وهذا التعصّب مؤصّل، وليس حالة عرضية جانبية.

الثانية: أن السلفية ترشد التّمذهب ولا تناقضه، والواقع أكبر شاهد على ذلك، فجل أعلام السلفية أتباع مذاهب ومنتسبون إليها، وإنكارهم على أهل المذاهب هو في تعصّبهم، وتقصير المؤهلين منهم في البحث عن الدليل واتباعه، والاقتران على النقل المجرد عن متأخري أهل المذهب والاكتفاء بذلك.

ثانياً: دعوى أن السلفية سبب في انتشار التكفير، وهي تهمة طالما أصمّت آذاننا وردّدها أكثر من طرف، وحقّتهم في ذلك أنّ تعصّب السلفيين - على حدّ زعمهم - هو ما أنتج ظواهر معيّنة من التشدّد الديني في العالم

من السلفية حيث أخرجوها من دائرة أهل السنة^(١)، كما دلّ عليه أيضاً تعصّبهم فيما بينهم:

فهذا ابن نجيم الحنفي ينقل عن الشيخ أبي حفص قوله: «لا ينبغي للحنفي أن يزوّج بنته من رجل شفعويّ المذهب، وهكذا قال بعض مشايخنا، ولكن يتزوج بنتهم، زاد في البزازية: تنزيلاً لهم منزلة أهل الكتاب»^(٢).

وهذا محمد بن موسى البلاساغوني الحنفي قاضي دمشق كان يقول: «لو كان لي أمر لأخذت الجزية من الشافعية»^(٣).

وهذا إمام الشافعية إمام الحرمين الجويني يوجب على جميع الأمة الانتساب لمذهب الشافعي في جميع الأقطار، فحين تكلم عن تبني المذاهب وحكمه وضرورة الالتزام بمذهب معيّن في الفروع عقب ذلك فقال: «نحن ندعي أنه يجب على كافة العققلين وعمامة المسلمين شرقاً وغرباً بعدداً وقرباً انتحال مذهب الشافعي، ويجب على العوام الطغام والجهال الأندال أيضاً انتحال مذهبه، بحيث لا يبيغون عنه حولاً، ولا يريدون به

(١) كما في مخرجات الشيشان، انظر المجلة السلفية العدد (١) (ص ٥٥).

(٢) «البحر الرائق شرح كنز الدقائق» (٢ / ٤٩).

(٣) انظر: «ميزان الاعتدال» (٤ / ٥٢).

(٤) «مغيث الخلق في ترجيح القول الحق» (ص ١٥).

الإسلامي، والناظر في حال كثير من التيارات

المتشدّدة يجد أنها لم تكن سلفيّة النشأة ولا المنبت ولا حتى المرجعية، فمن المعلوم أن أغلب الحركات المتشدّدة خرجت من دول عربيّة معيّنة تتبنّى العلمانيّة كمنهج سياسيّ، والمذاهب الفقهيّة والعقيدة الأشعرية كنظام تعليمي، والتصوف كنظام سلوكي، وبسبب هذا التجهيل انتشرت صورة مشوّهة للإسلام، منتزعة من عدّة صور، فأخذوا من المذاهب رخصها وتركوا راجحها، ومن العقيدة الأشعرية عداها للسلفية، ومثلهم في ذلك أتباع هذه الحركات المتشدّدة من حريجي الجامعات الأوربية والأمريكية من حملة الجنسيات الغربية، فحين كانت المعاهد والدول المحسوبة على السلفيّة تتبنّى منهج محاربة التكفير والغلوّ بطرق منضبطة لا تنكر شرعاً ولا تقرّ باطلاً، وعصم الله بها كثيراً من شباب المسلمين من الغلو والانحراف؛ كانت المقاربات الأمنيّة والفتاوى الإقصائية سبباً رئيسياً في انتشار الغلوّ، وما انحسرت السلفية في مكان إلا وظهر فيه الغلوّ، وذلك أن السلفيين يؤسسون للممانعة المجتمعية بتمسكهم بالكتاب والسنة، ودعوتهم للاجتماع على إمام عادل، والبعد عن دعوى الجاهلية، سواء كانت قومية أو قبلية أو

جهوية^(٥).

بينما غالباً ما تلعب التيارات الأخرى على هذه التناقضات وتستغلّها، وقد لخصّ العلامة محمد بشير الإبراهيمي العافية الاجتماعيّة عند السلف والتي حقّقوها عبر منهجهم بقوله: «أقام سلفنا الصالح دين الله كما يجب أن يقام، واستقاموا على طريقته أتمّ استقامة، وكانوا يقفون عند نصوصه من الكتاب والسنة، لا يتعدونها ولا يتناولونها بالتأويل، وكانت أدواتهم لفهم القرآن: روح القرآن، وبيان السنة، ودلالة اللغة، والاعتبارات الدينية العامة، ومن وراء ذلك فطرة سليمة، وذوق متمكن، ونظر سديد، وإخلاص غير مدخول، واستبراء للدين قد بلغ من نفوسهم غايته، وعزوف عن فتنه الرأي وفتنة التأويل، أدبهم قوله تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]؛ فكانوا أحرص الناس على وفاق، وكانوا كلّما طاف بهم طائف الخلاف في مسألة دينية بادروه بالردّ إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله؛

(٥) ينظر في تأسيس المنهج السلفي للمعاني المذكورة أعلاه المراجع التالية: «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٢٨٢)، و«إعلام الموقعين» لابن القيم (٣/ ٤٠)، و«الاعتصام» للساطبي (١/ ١٤٠).

فانحسم الداء، وانجابت الحيرة»^(٦).

ثالثاً: من المعلوم أن الشرع إذا وجد عند قوم لا يمكن أن ينكروه عند غيرهم؛ ولهذا لما أنكرت اليهود الرجيم طلب منهم القرآن الإتيان بالتوراة؛ لأنه فيها وهي شريعتهم، ومثله حين ينكر متهمو السلفية على السلفية التكفير بالضوابط الشرعية؛ فإنه يلزمهم أن يفعلوا ذلك مع أنفسهم خصوصاً؛ إذ وجد عندهم ما هو أشدّ مما عند السلفية، ومخالف للنصوص، وإلزام باللازم البعيد، فمن ذلك ما عرف في باب الردّة، فقد نقل شراح خليل من المالكية ما يعرف بمسألة الخطيب، وهي فتوى معروفة عند المالكية: أن الخطيب إذا كان يخطب وأتاه رجل كافر يريد أن يسلم، فطلب منه الانتظار حتى تنتهي الخطبة؛ فإنه يكفر؛ لأنه رضي بالكفر زمناً ما^(٧).

وبعض أئمة الأحناف يرون عدم جواز نكاح من يرى الاستثناء في الإيمان؛ فيقول: أنا مؤمن إن شاء الله؛ لأنّ هذا كفر عندهم^(٨). ولا تسأل عن الحوادث المسطرة بين أهل المذاهب من الاقتتال بينهم، وحجر بعضهم

على بعض في الفتيا، ومنعه من القضاء، وهذا وقع بين الشافعية والأحناف بكثرة، كما وقع بين الحنابلة وبقية المذاهب، فهل يرى خصوم السلفية هذا التاريخ سبباً في ترك التمذهب؟! وليس الغرض من هذا كله رمي حجر في بئر قوم، وإنما الغرض تبيين ازدواجية المعايير عند بعض خصوم السلفية، وكيف يتناقضون حين ينسبون للسلفية خصلة هي ظاهرة عند غيرها، وبطريقة أشدّ، بل عند البديل عن السلفية تعدّد هذه الخصلة سمة بارزة.

والحقّ أن السلفية منهج يقود الأمة إلى برّ الأمان، وهي المنهج الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لأهل هذه الملة، وجعله عصمة من الهلاك؛ لكنّ السلفيين بشر ليسوا ملائكة ذوي أجنحة، ولا شياطين ذوي قرون، فبعض ما يصدر عنهم هو بمقتضى البشرية؛ ولذلك ينكر عليهم إخوانهم في المنهج، ويتناصحون، ويردّ بعضهم بعضاً إلى الحق، كما أنّ كلّ منهج فيه أدياء وأصفياء، وتغليب الأدياء على الأصفياء؛ يعدّ خللاً موضوعياً، وتعامياً عن الحقيقة، لا يليق بأهل العقول النيرة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.

(٦) «آثار الإمام محمد بشير الإبراهيمي» (١) / ١٦٤.

(٧) انظر: «حاشية ابن غازي على كتاب الدرر في شرح المختصر» لبهرام (٣/ ١٦٠).

(٨) انظر: «فتح القدير» لابن الهمام (٣/ ٢٣٠).

السلفية منهج الإسلام.. وليست حزب تفرق وفساد

الدكتور عبد المعز الدمرواش البحيري

السلفية اسم جامع لمنهج علمي تربوي يدعو إلى فهم الكتاب والسنة، ويأخذ بنهج وعمل رسول الله محمد ﷺ وصحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين وأتباع التابعين؛ باعتباره يمثل منهج الإسلام الصحيح، ويتعد عن كل المدخلات الغربية عن روح الإسلام وتعاليمه، والتمسك بما نقل عن السلف الصالح، وهي تمثل العقيدة الصحيحة والمنهج السليم في مقابلة الفرق الإسلامية الأخرى، التي انحرفت عن الصراط المستقيم.



التمسك بالكتاب والسنة وتقديهما على ما سواهما، والعمل بهما على مقتضى فهم السلف الصالح، والمراد بهم: الصحابة والتابعون وأتباعهم من أئمة الهدى ومصابيح الدجى، الذين اتفقت الأمة على إمامتهم وعدالتهم، وتلقى المسلمون كلامهم بالرضا والقبول، دون أهل الأهواء والبدع ممن رمي ببدعة أو شهر بلقب غير مرضي، مثل: الخوارج والروافض والمعتزلة والجبرية وسائر الفرق الضالة. وهي بهذا الإطلاق تعد منهاجاً باقياً إلى قيام الساعة، ويجب الانتساب إليه والتزام شروطه وقواعده، فالسلفيون هم السائرون على نهجهم المقتفون أثرهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ لقوله ﷺ:

لا يخفى على الباحثين: إن السلفية تطلق، ويراد بها أحد المعنيين:

الأول: مرحلة تاريخية معينة تختص بأهل القرون الثلاثة المفضلة، لقوله ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»^(١)، وهذه الحقبة التاريخية لا يصح الانتساب إليها؛ لانتهائها مدتها بموت رجالها.^(٢)

والثاني: الطريقة التي كان عليها الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعون ومن تبعهم بإحسان من

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٢) وهذا ما حاول أن يتبينه الدكتور البوطي في كتابه: «السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي» ليطوي صفحة المنهج السلفي من الوجود. لكن علماء الدعوة السلفية كانوا لفريته بالمرصاد.

«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»^(٣)، ومن هذا يتبين أن السلفية ليست دعوة طائفية أو حزبية أو عرقية أو مذهبية ينزل فيها المتبوع منزلة المعصوم، ويتخذ سبيلاً لجعله دعوة يدعى إليها، ويوالى ويعادى عليها، وإنما تدعو السلفية إلى التمسك بوصية رسول الله ﷺ المتمثلة في الاعتصام بالكتاب والسنة وما اتفقت عليه الأمة، فهذه أصول معصومة دون ما سواها. وهذا المنهج الرباني المتكامل ليس من الحزبية الضيقة التي فرقت الأمة وشتتت شملها، وإنما هو الإسلام المصفى، والطريق القويم القاصد الموصل إلى الله، به بعث الله رسله، وأنزل به كتبه، وهو الطريق البينة معالمه، المعصومة أصوله، المأمونة عواقبه؛ أما السبل الأخرى؛ فطرقها مسدودة، وأبوابها مغلقة؛ قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خط لنا رسول الله ﷺ خطاً ثم قال: «هذا سبيل الله» ثم خط خطوطاً عن يمينه وشماله، ثم قال: «هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه» ثم قرأ:

(٣) أخرجه مسلم (١٩٢٠).

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾^(٤).
وعليه يدرك العاقل أنه ليس من الإسلام تكوين أحزاب متصارعة ومتناحرة: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]، فقد ذم الله التحزب والتفرق في آيات منها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا أَسْتَمْتِ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وإنما الإسلام حزب واحد مفلح بنصر القرآن، قال تعالى: ﴿الَّا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وأهل الفلاح هم الذين جعل الله لهم لسان صدق في العالمين، ومقام إحسان في العليين، فساروا على سبيل الرشاد الذي تركنا عليه المصطفى ﷺ الموصل إلى دار الجنان، بين لا اعوجاج فيه ولا انحراف قال ﷺ: «قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»^(٥).

(٤) أخرجه الدارمي (٢٠٨)، وابن حبان (٦)، والحاكم في «المستدرک» (٣٢٤١)، وأحمد (٤١٤٢)، وصححه أحمد شاكر في «شرح المسند» (٨٩/٦)، وحسنه الألباني في «المشكاة» (١٦٦).

(٥) أخرجه ابن ماجه (٤٣)، وحسنه المنذري في

عقيدته وشريعته وتؤسس دعوتها عليه، قال ابن تيمية رَحْمَةُ اللَّهِ: «لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه باتفاق، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً»^(٧).

ولذلك لا يعاب التسمي بـ «السلفية» أو بـ «أهل السنة والجماعة» أو بـ «أهل الحديث» أو بـ «الفرقة الناجية» أو «الطائفة المنصورة»؛ لأنه اسم شرعي استعمله أئمة السلف وأطلقوه بحسب الموضوع إما في مقابلة «أهل الكلام والفلسفة» أو في مقابلة «المتصوفة والقبوريين والطرقين والخرافيين» أو تطلق بالمعنى الشامل في مقابلة «أهل الأهواء والبدع» من الجهمية والرافضة والمعتزلة والخوارج والمرجئة وغيرهم. لذلك لما سئل الإمام مالك رَحْمَةُ اللَّهِ من أهل السنة؟ قال: «أهل السنة الذين ليس لهم لقب يعرفون به لا جهمي ولا قدري ولا رافضي»^(٨)، ومراده رَحْمَةُ اللَّهِ: أن أهل السنة التزموا الأصل الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وبقوا متمسكين بوصيته ﷺ من غير انتساب إلى شخص أو جماعة، ومن هنا يعلم أن سبب التسمية إنما

والله سبحانه وتعالى إذ سمى في كتابه الكريم الرعيل الأول بـ «مسلمين»؛ لأن هذه التسمية جاءت مطابقة لما كانوا عليه من التزامهم بالإسلام المصفى عقيدةً وشريعةً، فلم يكونوا بحاجة إلى تسمية خاصة إلا ما ساهم الله به تمييزاً لهم عما كان موجوداً في زمانهم من جنس أهل الكفر والضلال، لكن ما أحدثه الناس بعدهم في الإسلام من حوادث وبدع وغيرها مما ليس منه، سلكوا بها طرق الزيغ والضلال، فتفرق بهم عن سبيل الحق وصراطه المستقيم، فاقتضى الحال ودعت الحاجة إلى تسمية مطابقة لما وصف به النبي ﷺ الفرقة الناجية بقوله: «ما أنا عليه وأصحابي»^(٦)، ومتميزة عن سبيل أهل الأهواء والبدع ليستين أهل الهدى من أهل الضلال. فكان معنى قوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ﴾ [الحج: ٧٨]؛ إنما هو الإسلام الذي شرعه الله لعباده مجرداً عن الشريكيات والبدعيات، وخالياً من الحوادث والمنكرات في العقيدة والمنهج، ذلك الإسلام الذي تنتسب إليه السلفية وتلتزم

«الترغيب والترهيب» (٤٧/١)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٩٣٧).
(٦) أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، قال العراقي في «تخريج الإحياء» (٢٨٤/٣) «أسانيداً جيداً»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣٤٣).

(٧) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية: (١٤٩/٤).
(٨) «الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء» لابن عبد البر (٣٥)، و«ترتيب المدارك للقاضي عياض (١٧٢/١).

نشأ بعد الفتنة عند بداية ظهور الفرق الدينية لتمييز أهل الحق من أهل الباطل والضلال، وقد أشار ابن سيرين رَحِمَهُ اللهُ إلى هذا المعنى بقوله: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة، قالوا: سمو النار جالكُم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم»^(٩)، هذا الأمر الذي دعا العلماء الأثبات والأئمة الفحول إلى تجريد أنفسهم لترتيب الأصول العظمى والقواعد الكبرى للاتجاه السلفي، ومن ثم نسبته إلى السلف الصالح لحسم البدعة، وقطع طريق كل مبتدع. قال الأوزاعي رَحِمَهُ اللهُ: «اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم»^(١٠).

والسلفية؛ إذ تحارب البدع والتعصب المذهبي والتفرق إنما تتشدد في الحق والأخذ بعزائم الأمور والاستئنان بالسنن وإحياء المهجورة منها، فهي تؤمن بأن الإسلام كله حق لا باطل فيه، وصدق لا كذب فيه، وجد لا هزل فيه، ولب لا قشور فيه، بل أحكام الشرع وهدية وأخلاقه وآدابه

كلها من الإسلام سواء مبانيه وأركانها أو مظاهره، والله تعالى يأمرنا بخصال الإسلام جميعاً وينهانا عن سلوك طريق الشيطان، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَدْحُلُوبًا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨]، وقد ذم الله تعالى بني إسرائيل الذين التزموا ببعض ما أمروا به دون البعض بقوله تعالى: ﴿أَفَتَوَمَّنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥]. والحكم المسبق على المعين بدخول النار والمنع من دخول الجنة بتركه للهدي الظاهري للإسلام ليس من عقيدة أهل السنة لكونه حكماً عينياً استأثر الله به، لا يشاركه فيه غيره، وقد بين الله سبحانه وتعالى أن استحقاق الجنة ودخولها إنما يكمن في إخلاص العباد لله سبحانه واتباع نبيه ﷺ، وقد ذم الله تعالى مقالة أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ ءَأْمَانِيهِمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَن أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١١-١١٢].

فالسلفية لا تهون من شأن السنة مهما كانت، فلا تهدر من الشرع شيئاً ولا تهمل أحكامه، بل تعمل على المحافظة على جميع

(٩) أخرجه مسلم في «مقدمة الصحيح» (٨/١).

(١٠) «الشرعية» للأجري (ص ٥٨).

[النحل: ٤٤]، والبقاء في البيوت والمساجد من غير تعليم ولا دعوة إخلال ظاهر بواجب الأمانة وتبليغ رسالات الله، وإيصال الخير إلى الناس، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، فيجب على الداعية أن يدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على علم ويقين وبرهان على نحو ما دعا إليه رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، والعلم إذا لم يصحبه تصديق ولم يؤازره عمل وتقوى لا يسمى بصيرة، فأهل البصيرة هم أولوا الألباب كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ١٨].

ومن منطلق الدعوة إلى الإسلام المصفي من العوائد والبدع والمحدثات والمنكرات كان الانتساب إلى «أهل السنة والجماعة» أو «السلفية» عزا وشرفا ورمزا للافتخار وعلامة على العدالة في الاعتقاد، خاصة إذا تجسد بالعمل الصحيح المؤيد بالكتاب والسنة، لكونها منهج الإسلام في الوحدة

شرعه: علما وعملا ودعوة قصد بيان الحق وإصلاح الفساد، وقد أخبر النبي ﷺ عن الغرباء: «الذين يصلحون إذا فسد الناس»^(١١).

والسلفية ليست بدعوة مفرقة، وإنما دعوة تهدف إلى وحدة المسلمين على التوحيد الخالص، والاجتماع على متابعة الرسول ﷺ والتزكية بالأخلاق الحسنة، والتحلي بالخصال الحميدة، والصدع بالحق وبيانه بالحجة والبرهان، قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، فقد كان من نتائج المنهج السلفي: اتحاد كلمة أهل السنة والجماعة بتوحيد ربهم، واجتماعهم باتباع نبينهم، واتفاقهم في مسائل الاعتقاد وأبوابه قولاً واحداً لا يختلف مهما تباعدت عنهم الأمكنة واختلفت عنهم الأزمنة، ويتعاونون مع غيرهم بالتعاون الشرعي الأخوي المبني على البر والتقوى والمنضبط بالكتاب والحكمة.

هذا، والسلفية تتبع رسولها في الصدع بكلمة الحق ودعوة الناس إلى الدين الحق، قال تعالى: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾

(١١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣٠٥٦)، وأبو عمرو الداني في «الفتن» (١/٢٥)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٢٧٢).

ما هو عذرك عند الله؟

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ اللهُ:

فيا أيها المعرضون عن طلب العلم! ما هو عذركم عند الله، وأنتم في العافية تتمتعون؟ وماذا يمنعكم منه وأنتم في أرزاق ربكم تترعون؟ أترضون لأنفسكم أن تكونوا كالبهائم السائمة؟

أتختارون الهوى على الهدى والقلوب منكم ساهية هائمة؟ أتسلكون طرق الجهل وهي الطرق الواهية، وتدعون سبل الهدى وهي السبل الواضحة النافعة؟

أترضى إذا قيل لك: من ربك وما دينك ومن نبيك لم تحر الجواب؟ وإذا قيل: كيف تصلي وتتعبد أجبت بغير الصواب؟ وكيف تبيع وتشتري وتعامل وأنت لم تعرف الحلال من الحرام؟ أما والله إنها حالة لا يرضاها إلا أشباه الأنعام.

فكونوا -رحمكم الله- متعلمين، فإن لم تفعلوا فاحضروا مجالس العلم مستمعين ومستفيدين، واسألو أهل العلم مسترشدين متبصرين، فإن لم تفعلوا وأعرضتم عن العلم بالكلية فقد هلكتم وكنتم من الخاسرين، أما علمتم: أن الاشتغال بالعلم من أجل العبادات، وأفضل الطاعات والقربات، وموجب لرضى رب الأرض والسموات، ومجلس علم تجلسه خير لك من الدنيا وما فيها، وفائدة تستفيدها وتنتفع بها لا شيء يزنها ويساويها؟ فانتقوا الله عباد الله، واشتغلوا بما خلقتكم له من معرفة الله وعبادته وسلوا ربكم أن يمدكم بتوفيقه ولطفه وإعانتة. قال الله تعالى: اقل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب.

«الفاوكة الشهية في الخطب المنبرية» (رقم: ٦٦)

والإصلاح والتربية، وإنما العيب والذم في مخالفة اعتقاد مذهب السلف الصالح، في أي أصل من الأصول، لذلك لم يكن الانتساب إلى السلف بدعةً لفظيةً أو اصطلاحًا كلاميًا لكنه حقيقة شرعية ذات مدلول محدد.

وأخيرًا؛ فالسلف الصالح هم صفوة الأمة وخيرها، وأشد الناس فرحًا بسنة نبيهم ﷺ وأقواهم استشعارًا بنعمة الإسلام وهدايته التي من الله بها عليهم، متمثلين لأمر الله تعالى بالفرح بفضله ورحمته قال سبحانه:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْوِينُ مَوْعِظَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:

٥٧-٥٨]، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «الفرح بالعلم والإيمان والسنة دليل على تعظيمه عند صاحبه، ومحبته له، وإيثاره له على غيره، فإذا فرح العبد بالشيء عند حصوله له على قدر محبته له ورغبته فيه، فمن ليس له رغبة في الشيء لا يفرحه حصوله له، ولا يحزنه فواته، فالفرح تابع للمحبة والرغبة»^(١٢).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وإخوانه إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا.

(١٢) «مدارج السالكين» (٣/١٥٨).

الدعوة السلفية فرق بين الناس

الدكتور عبد المولى البشير

يثار على المنهج السلفي بين الحين والآخر بعض الشبهات، وذلك منهم لتنفير الناس من متابعته، أو جهل بحقيقته ومنهجه. ومن ذلك قولهم: أن الدعوة السلفية تفرق ولا تجمع؛ لأنها فرقت بين الجماعات والفرق والدعوات اليوم.



للناس في ادعائهم كذباً أنهم دعاة إلى الله. وإما أنهم يجهلون المنهج السلفي؛ فهؤلاء ندعوهم إلى العلم؛ كما قال ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»^(١). إن اتباع هذه الدعوة السلفية الصافية يفرق؛ ولكن:

يفرق بين الحق والباطل.
يفرق بين أهل الحق وأهل الباطل.
يفرق بين السنة وأهلها والبدعة وأهلها.
يفرق؛ لأنه:

يميز بين من هو على طريق الحق والإيمان الإلتباع وبين من هو على طريق

وهذه المقولة ناشئة عن أحد شيئين: إما سوء القصد. وإما سوء الفهم. وسوء الفهم بمعنى الخطأ أمره سهل؛ لأن من فهم فهماً سيئاً وكان قصده الحق؛ إذا استبان له الأمر قبل.

وأما سوء القصد؛ وهو: في الحقيقة الهوى والتعصب والعمى عن كل ما يخالف مشربه، فهذا -في الغالب- ليس فيه حيلة، وقل من يهتدي من أصحاب هذا المسلك.

فالقوم: إما أصحاب أهواء وبدع؛ رأوا أن المنهج السلفي يكشف عوارهم وزيفهم، ويجلي حقيقة غشهم وخداعهم

(١) البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

محالة، لكن علينا أن نفرق بين منهج بين للناس الحق؛ فيفترق الناس عن الباطل وأهله، وبين منهج تزج بالناس إلى الهاوية، وما أدراك ما هيه؟ نار حامية!!

إن القول: بأن أتباع السلف الصالح ومنهجهم يفرق بين الدعاة العاملين، ويشتت الأمة الإسلامية؛ فهذا القول لا نصيب له من الصحة؛ لأن النبي ﷺ ما جمع أمته إلا على كل خير، وما نهاهم إلا عن كل ضلالة وشر، فلتن كانت متابعة الصحابة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ** ومن تبعهم من السلف الصالح تفرق؛ فمعنى هذا: أنه منهج مخالف للكتاب والسنة، ومعنى ذلك -أيضاً-: أنهم لم يكونوا على الهدى المستقيم، وهذا ولا ريب ضلال كبير، وافتراء عريض على الرسول ﷺ وأصحابه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**.

وما أجمل هذا الحديث! وما أروع ما كتبه الإمام الألباني **رَحِمَهُ اللَّهُ** في التعليق عليه الحديث:

عن جبير بن نفير؛ قال: جلسنا إلى المقداد بن الأسود يوماً، فمر به رجل؛ فقال: طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ، لوددنا أننا رأينا ما رأيت، وشهدنا ما شهدت، فاستغضب، فجعلت

أهل الزيغ والتفرق والابتداع. يميز بين دعاة الكتاب والسنة وأتباع السلف الصالح وبين دعاة التفرق والتحزب وأتباع الشيوخ مريدي المقلدة. هذا هو الفعل واقع دعوة النبي ﷺ: ألم تقل قريش حين بعث رسول الله أنه يفرق بينهم:

يفرق بين المرء وأبيه.

وبين المرء وأمه.

وبين المرء وزوجه.

لأنه جاء بالهدى وشريعة الحق، فلا بد إذاً من تمييز الصف المسلم المستقيم، الملازم لمنهج النبوة من غيرهم من الناس. إن هذا الأصل ليست بسببة في وجه المنهج السلفي؛ لأنه ما من منهج صحيح كان أو غير صحيح إلا ويفرق بين الناس! فهل الكفر والشرك لا يفرق بين الناس؟

وهل الفرق المنحرفة والمبتدعة من الشيعة والخوارج والمعتزلة والصوفية وغيرها لم تفرق بين الناس؟

وهل الأحزاب الحركية اليوم لم تفرق المسلمين؟

أمر عجب أن يتهم المنهج السلفي أو أصحابه بأمر قدرى كوني واقع لا

أعجب! ما قال إلا خيرًا، ثم أقبل إليه، فقال: ما يحمل الرجل على أن يتمنى محضراً غيبه الله عنه، لا يدري لو شاهده كيف كان يكون فيه؟! والله لقد حضر رسول الله ﷺ أقوام أكبهم الله على مناخرهم في جهنم، لم يجيبوه، ولم يصدقوه، أو لا تحمدون الله إذ قد أخرجكم تعرفون ربكم، مصدقين لما جاء به نبيكم ﷺ، قد كفيتم البلاء بغيركم؟! والله لقد بعث النبي ﷺ على أشد حال بعث عليها نبي من الأنبياء، وفترة وجاهلية، ما يرون أن ديناً أفضل من عبادة الأوثان، فجاء بفرقان فرق بين الحق والباطل، وفرق بين الوالد وولده حتى إن كان الرجل ليرى ولده، أو والده أو أخاه كافراً؛ وقد فتح الله قفل قلبه للإيمان، يعلم أنه إن هلك دخل النار، فلا تقر عينه وهو يعلم أن حبيبه في النار، وأنها التي قال الله: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

وليتأمل المنصف هذا الوصف الذي وصفت به الملائكة رسول الله ﷺ: عن جابر بن عبد الله؛ قال: جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً، فاضربوا له مثلاً، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلب يقظان، فقالوا: مثله كمثل رجل بنى داراً، وجعل فيها مآدبةً وبعث داعياً، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المآدبة، ومن لم يجب

قال الإمام الألباني رحمه الله: ليتأمل - في هذه الكلمة الرائعة من هذا الصحابي الجليل المعبرة تمام التعبير عن حقيقة دعوة النبي ﷺ من يقول من الأحزاب الإسلامية الذين تجلت لهم

(٢) «صحيح موارد الظمان إلى زوائد ابن حبان» /٢/ ١٢٩-١٣٠ /١٤٠٢، وانظر «الصحيحة» (٢٨٨٣).

أحس براحتي في بيت كتب
أقلب فيه طرife باقتضاب
لأكسب من معارفه علوماً
وأنهل من موارد العذاب
كجنات يجدن بكل لون
من الثمر الشهي المستطاب
يحدثني الكتاب بكل أمر
وأسأله فينطق بالجواب
وان في مشكل قد حار فكري
وجدت الحل فيه بالصواب
تخبرني الطروس حديث قوم
وقد حلوا قروناً في التراب
ألا يا نفس فاصطبري وسيري
إلى المولى لنظفر بالثواب
ولكن صدني عن ذاك دنيا
إذا أعرضت نادت باقترب
أجاذبها فتجذبني إليها
ويقصد أهلها معها اجتذابي
فكانت بيننا حرب عوان
وشيطاني يريد لها غلابي
فيارب أعني أنت ذخري
ووفقني لإصلاح المآب

الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة، فقالوا: أولوها له يفقهها، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلب يقظان، فقالوا: فالدار الجنة، والداعي محمد ﷺ؛ فمن أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً ﷺ فقد عصى الله، ومحمد ﷺ فرق بين الناس (٣).

وقوله: (فرق) روي مشدداً على صيغه الفعل الماضي، ومخففاً بسكون الراء والتنوين على المصدر، وصف به للمبالغة؛ أي: هو الفرق بين المؤمن والكافر، والصالح والطالح، إذا تميزت به الأعمال والعمال.. وعليه؛ فنقول: نعم الدعوة السلفية فرق بين الناس؛ فهي تفرق بين من يقبلها ويستجيب لأدلتها وبراهينها وبين من يجدها ويأبأها ويعترض عليها.

وهذا تفريق واجب لا بد منه؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ [النمل: ٤٥].

والله الموعد

(٣) أخرجه البخاري (٧٢٨١).

منهج السلف أسلم وأعلم وأحكم

الدكتور صالح بن سعد السحيمي

منهج السلف أسلم وأعلم وأحكم: بيان أن طريق النجاة، وطريق السلامة، وطريق الهدى والرشاد؛ هو التمسك والاعتصام بحبل الله المتين، وصراطه المستقيم، وبالمنهج السوي؛ الذي جاء به رسول الله ﷺ من عند الله؛ حيث تركنا على البيضاء: ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.



وهذه العبارة العظيمة: «منهج السلف أسلم وأعلم وأحكم»؛ ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في معرض رده على أهل الكلام والمنطق؛ الزاعمين: بأن طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم، ورد على ما بنوا عليه هذه القاعدة الفاسدة؛ والتي تتلخص في أمرين:

الأول: جهلهم بطريقة السلف. الثاني: خطأهم وضلالهم بتصويب طريقة الخلف.

فقد زعموا في هاتين المقدمتين: أن السلف كانوا لا يعلمون إلا ظواهر النصوص التي ليست لها معان، فهم يفهمون على أنها ألفاظ

جوفاء؛ خصوصاً في باب الأسماء والصفات، ثم رتبوا على ذلك أن الحق هو تلك التأويلات الفاسدة التي توصل إليها الخلف، وهم المشتغلون بعلم الفلسفة والمنطق وعلم الكلام، الذي ضل به كثير من الناس عن منهج الله الحق.

وما أشبه الليلة بالبارحة! فإننا نسمع مقولات شبيهة بمقولات أهل الكلام والمنطق القائلين بأن طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم، وهي قول كثير من زعماء الفكر في هذا العصر: إن العلماء -يعنون بذلك علماء الأمة- على خير وعلى أمر طيب؛ غير أنهم لا يدركون ما

يحيط بالامة من أخطار، ولا يعون ذلك، وأن أصحاب الفكر وأصحاب الثقافة الصحفية والكتب العصرية، هم الذين يدركون أو يملكون الحلول لمشاكل الأمة وإزالة الأخطار التي تحيط بها من كل مكان!

لذا نسمع أوصافاً لا تليق يوجهونها إلى علماء الأمة: من أنه يرجع إليهم في فتاوى معينة تتعلق بالطلاق، وأحكام الزواج، والوقف والميراث، وما إلى ذلك، وأما بقية الأمور التي تتعلق بمصير الأمة ومستقبلها وعلاج مشاكلها، وما يجد لها من أمور؛ فإن هذا يترك لأهل الفكر وزعماء الفكر، الذين يدعون أنهم أتوا بما لم تأت به الأوائل! وأن بيدهم الحلول لمشاكل هذه الأمة.

تتمثل تلك الحلول بإشغال الناس عامةً والشباب خاصةً بأخبار العالم وما يعجب به من مشاكل من هنا وهناك، وتتبع تلك الأخبار والانشغال بقصاصات الصحف والمجلات وما إلى ذلك، مما يسمونه بـ (فقه الواقع)، ومن ثم الاشتغال بالخطب الرنانة والكلام الكثير، الذي في كثير من الأحيان ليس فيه شيء من الحلول؛ وإنما هو عبارة عن إشغال

الناس بتلك القضايا وما فيها؛ مما لا يزيد السامع إلا حيرةً وألماً وبعداً عن المنهج الحق، الأمر الذي جعلهم لا يهتمون بمنهج السلف الذي هو أسلم وأعلم وأحكم.

لذا؛ فإنه لا بد من فهم كلمة المنهج أولاً، وفهم كلمة السلف ثانياً، ثم بيان هذا المنهج، وبيان أنه المنهج الحق، وبيان مقوماته وما يضاذه.

فلمنهج خلاصة مدلوله: أنه الطريق والإطار العام الذي يسار عليه، والذي يشمل رسم الخطوط العريضة والقواعد العامة، والأسس التي ينبغي أن يسير عليها المرء.

وقد ذكر الله تبارك وتعالى لفظة المنهج والمنهاج في القرآن الكريم؛ فقال تعالى:

﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]؛ أي: أن الله - سبحانه وتعالى - جعل لكل أمة شريعةً وأسساً تسير عليه في عبادتها، وفي أحكامها، وآدابها وأخلاقها؛ وإن كان الأساس العام لكل ما جاء به نبي هو توحيد الله - سبحانه وتعالى -.

فلمنهج هو القواعد الأساسية والأصول

الثابتة التي يجب أن تسير عليها الأمة؛ حتى

تحقق ما تصبو إليه من مجد ورفعة وسؤدد.

وأما السلف فهم الذين تقدموا من علماء الأمة، الذين ساروا على المنهج القويم، الذي بني على كتاب الله - تبارك وتعالى -، وسنة رسوله ﷺ، بلا إفراط ولا تفريط.

وهل كلمة السلف قاصرة على أصحاب القرون الثلاثة الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»^(١) أم أن ذلك يعم كل من تقدم من علماء الأمة وأهل الحل والعقد فيها، والذين دعوا إلى السير على المنهج الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه؟

من قصر إطلاق كلمة السلف على أصحاب القرون المفضلة: لا يعارضون إطلاق كلمة السلف على من جاء بعدهم من العلماء الربانيين الذين يجددون لهذه الأمة كل ما اندثر من أمر دينها في كل قرن.

ولذلك؛ فإن السلف هم كل من تقدم على هذا المنهج من أهل الهدى والرشاد والعلماء الربانيين. ومن سار على نهجهم هم

(١) رواه البخاري ومسلم.

السلفيون.

ولا يضيرنا من يتبرم من إطلاق كلمة السلفية؛ لأنه يفهم أن السلفية حزب من الأحزاب القائمة، أو طائفة من الطوائف المتصارعة؛ لأن هذا فهم مبني على خطأ في المنهج، وإنما السلفي ومن يتبع السلف كل من سار على هذا المنهج في أي بقعة من بقاع الأرض، هم الذين يهجون نهج سبيل المؤمنين؛ الذي قال فيه الله - تبارك وتعالى -:

﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

وهم السائرون على هذا المنهج القويم؛ الذي قال الله في أهله: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقد وصف الله - تعالى - السلف وأتباعهم ومن سار على نهجهم إلى أن يرث الله الأرض

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿[الأنعام: ١٥٣]

وقال رسول الله ﷺ بعد أن ذكر افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قال: «هي الجماعة»^(٢)، وفي رواية: «هي من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»^(٣).

وقال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ»^(٤).

فيجب علينا أن نعص عليه بالنواجذ؛ كما أمرنا رسول الهدى ﷺ.

فإذا علمنا سلامة هذا المنهج - وأنه أسلم وأعلم وأحكم - لأنه من عند الله: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] -؛

فإنه ينبغي لنا أن ندعو بدعاء النبي ﷺ من أجل أن يثبتنا الله - عز وجل - على هذا المنهج في قوله: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل

(٢) رواه أبو داود والدارمي وأحمد.

(٣) رواه الترمذي بلفظ: «قال ما أنا عليه وأصحابي» وحسنه الألباني.

(٤) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني.

ومن عليها في ثلاث آيات في سورة الحشر؛ قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَبْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجْزَوْنَ مِمَّا هَاجَرُوا إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ٨ - ١٠].

هذا هو الصراط المستقيم، وهذا هو الطريق القويم، وهذه هي الجماعة التي أمر الله - تبارك وتعالى - بلزومها؛ فقال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّوْلُكُمْ بِهِ

وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم

الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»^(٥).

إذا تبين هذا؛ فإننا نشرع في بيان الأسس التي ينبني عليها هذا المنهج:

الأول: هو العلم والتعلم والتفقه في دين الله؛ لذا نرى الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ يعقد باباً في هذا المعنى بعنوان: «العلم قبل القول والعمل»، ثم يصدره بقول الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد: ١٩].

فأساس هذا المنهج هو العلم والتعلم والتفقه في دين الله؛ قال الله -تعالى-: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]، وقال الله -تعالى-: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وقال رسول الهدى ﷺ: «من يرد الله به وقال رسول الهدى ﷺ: «من يرد الله به

خيراً يفقهه في الدين»^(٦).

فالفقه في الدين هو أساس كل خير، وهو أساس صلاح العمل، وعمل لا يبنى على علم؛ فإنه عرضة أن يكون عملاً غير متقبل: وقد كان السلف الصالح لا يقدمون على عمل حتى يعرفوا أن هذا العمل مشروع، بأن يدل عليه دليل من الكتاب أو السنة.

ثانياً: أن يكون مصدر هذا العلم: المنهлан العظيمان: كتاب الله -تعالى- وسنة رسول الله ﷺ؛ هما المرجع عند الاختلاف، والملجأ عند التردد، والموئل عند ظهور الفتن؛ قال الله -تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْبِ الْأَمْرَ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَذُودُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وقال -تعالى-: ﴿وَمَا اٰخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠].

فالعلم -الذي هو إدراك المعلوم على حقيقته التي هو عليها- لا يتحقق إلا إذا أخذ

(٦) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما.

(٥) رواه مسلم.

من هذين المصدرين: الكتاب والسنة.

ثالثاً: أن يكون هذا التعلم على منهج السلف الصالح، وذلك بأن نأخذ العلم وفق مفاهيم السلف، الذين خدموا هذا الدين، وقدموا لنا هذه الكنوز العظيمة: من قواعد ومتون وشروح وحواشي، بذلوا فيها أوقاتهم الثمينة، وقدموها لنا طريةً عظيمةً.

فينبغي أن نسير على نهجهم، وأن لا ندعي لأنفسنا الاستقلال عن مفاهيمهم؛ لأنهم هم الذين نقلوا إلينا هذا الوحي، وهم الذين استنبطوا منه الأحكام، وهم الذين أفنوا أعمارهم في خدمته، وهم الذين قدموه إلينا جاهزاً؛ فما علينا إلا أن نهمل منه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْ لَهُمْ أَلْتَدَةَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

ويخطئ من يظن أنه يستطيع أن يفهم الدين فهمًا صحيحًا إذا لم يرجع إلى قواعد السلف ومنهجهم في العلم والعمل؛ لأنه من فعل ذلك أو من فعل خلاف ذلك؛ فقد اتبع غير سبيل المؤمنين، وحاد عن الطريق السوي، واتبع السبل التي حذرنا الله -تبارك وتعالى- من اتباعها، فلا بد من أخذ هذا

الأمر على مفاهيم السلف الصالح؛ يوضحه: الرابع: وهو التلقي والتعلم على أيدي العلماء الربانيين المتخصصين الذين ساروا على المنهج القويم، والذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»^(٧)؛ لأن هذه الأمور الثلاثة هي مداخل الشيطان؛ مداخل الشيطان إما عن طريق الغلو، وإما عن طريق الجهل، وإما عن طريق الهوى.

ومن زعم أنه يستطيع أن يفهم الكتاب والسنة بدون التلقي عن العلماء والدراسة عليهم؛ فإنه على خطر عظيم.

ومما يندى له الجبين، ويؤسف له: أننا نرى بعض أناس قرأوا بعض الكتب، وقرأوا بعض الأحاديث؛ دون أن يتلمذوا على العلماء، فنصبوا أنفسهم للفتوى، وزعموا أنهم ليسوا بحاجة إلى التلقي على هؤلاء العلماء، ومن كان علمه من كتابه فخطؤه أكثر من صوابه.

(٧) رواه البيهقي، وصححه الألباني في تخرجه مشكاة المصابيح.

ولذلك نجد عندهم جرأة خطيرة على الفتوى، وعلى مخالفة أهل العلم، والجرأة على دين الله؛ حيث يفتون بغير علم؛ فيضلون ويضلون، وهؤلاء قد وصفهم النبي ﷺ خصوصاً عند قلة العلماء، أو عند بعد الناس عن العلماء عندما قال: «إن الله لا يترزع العلم انتزاعاً وإنما يقبضه بقبض العلماء، فإذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»^(٨).

الخامس: التواضع؛ وأعني بالتواضع لين الجانب للعلم والتعلم وللعلماء، فإنه من تواضع لله رفعه، وإن الشيطان لينفخ في رأس بعضهم أنه قد بلغ درجة لم يبلغها أحد، فإذا وصل إلى هذه الحال؛ فليعلم أنه أجهل الناس؛ فلا يزال الرجل عالماً مادام يطلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم؛ فقد جهل.

السادس: أن لا نعتقد العصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ، وهذا بعد تعظيمنا واحترامنا لعلمائنا وتوقيرهم، وإعطائهم حقوقهم، وتنزيلهم منازلهم، وأخذ الحق عنهم والتلقي (٨) رواه الشيخان من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

عنهم، ومع ذلك لا نعتقد العصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ؛ إذ العصمة للرسول عليهم الصلاة والسلام، والكمال لله وحده، وأما من دونهم فإنهم عرضة للخطأ والصواب، ومع ذلك نعتقد أن العلماء الربانيين إذا اجتهدوا فأصابوا فلهم أجران، وإذا اجتهدوا فأخطأوا فلهم أجر واحد كما هو هدي رسول الله ﷺ. السابع: التماس العذر لمن أخطأ من علماء الأمة؛ كما هو منهج سلفنا الصالح، بعد أن نعتقد أن العصمة ليست لأحد؛ فإننا يجب أن نعلم بعد أن ننزلهم منازلهم، أنهم معذورون مأجورون؛ فنلتمس لهم العذر في المسائل التي حصل فيها خطأ اجتهادي. وهذا يتطلب من طالب العلم أن يعرف قواعد السلف في هذا الباب، ولا بد له من قراءة كتاب عظيم لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ وهو كتاب: «رفع الملام عن الأئمة الأعلام»؛ فإنه بين أعدار العلماء في بعض المسائل التي أخطأوا فيها. الثامن: أخذ الإسلام كله، والاهتمام بأمور الدين كلها بلا استثناء، فإن المنهج الحق هو أن المؤمن لا يتساهل في شيء من أمور دينه، فمتى بلغه الأمر في كتاب الله، أو

وطائفة أخرى تتنازل عن بعض مبادئ الإسلام، من أجل إرضاء اليهود والنصارى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصْرَىٰ﴾ [البقرة: ١٢].

وطائفة أخرى عندهم الغاية تسوغ الوسيلة، فإذا كانت الغاية صحيحة فلا يهمهم أن يرتقوا إليها بأية وسيلة ولو كانت محرمة.

وطائفة أخرى تتنكر للدين كله؛ لأنها قد استغربت وتفردت وانحلت وبعثت عن الدين، ورأت أنه لا يصلح، وأنه رجعية وتأخر.

وكل هذه الطوائف يجب أن نتعد عنها، وأن نبرأ منها، وأن نسير على منهج الحق؛ بأخذ الدين كله من مصادره في العقيدة والعبادة والأحكام والأخلاق والآداب والحدود وكافة نواحي الحياة، مع مراعاة مقتضيات الأحوال، وملاحظة أن لكل مقام ما يناسبه؛ خصوصاً من يهتمون بأمر الدعوة والدعاة؛ فإنهم ينبغي أن يعرفوا الداء فيشخصوا الدواء. فقد يقتضي المقام الكلام على العقيدة، قد يقتضي الكلام عن الزهد

في سنة رسول الله ﷺ؛ لا يسعه إلا أن يقول سمعنا وأطعنا ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور: ٥١]، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

فلا نأخذ جانباً على حساب تضييع جانب آخر؛ لأننا نعاني من طرائق معاصرة تهتم بجوانب من الدين، يظنون أنهم بمنظورهم الضيق أنه يكفي للتطبيق، ويضيعون ما سواه:

كالذين يدندنون حول السياسة العصرية والأخبار، ويضيعون أوقاتهم في هذا السبيل. وطائفة أخرى تهتم بجانب ما يتصورون أنه الزهد والعبادة، بينما هو تصوف محض دخيل علينا وعلى بلادنا، يتمثل ذلك في الخروج والسياحة في الأرض، وهذا هو كل شيء عندهم!

والورع والعبادة، قد يقتضي المقام الكلام على الخلق، قد يقتضي المقام الكلام عن مكافحة المعاصي والمنكرات بالطرق الشرعية المعروفة.

فالإسلام دين واحد ومنهج واحد لا يجزأ: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون﴾ [المؤمنون: ٥٢].

التاسع: البدء بالأولويات - مع مراعاة الأساس الثامن وهو أخذ الإسلام كله - فإنه لا بد لنا أن نبدأ بما بدأ الله به؛ وهو الدعوة إلى توحيد الله الخالص، وتحقيق التوحيد مما شابه من شوائب الشرك والبدع والمعاصي؛ لأن التوحيد قد أصابه خلل في العالم الإسلامي: من تأويل في أسماء الله وصفاته وإنكار لها وجحد، ومن تصوف بغيض، وقبورية وتعلق بالقبور، وعبادة من دون الله، ومن إلحاد وتنكر لأوامر الله، ومن مادية مفرطة تبعد المسلم عن ربه وتجعله يعبد المادة، ونحو ذلك.

وقال - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]؛ فلا بد من العناية بهذا الأمر أيها العناية.

وهذا لا يمكن علاجه إلا بالبدء بما بدأ الله به؛ فإن كل خلل في هذه الأمور راجع إلى الخلل في التوحيد، وفي العبودية لله، وفي

ولما بعث رسول الله ﷺ معاذًا إلى اليمن؛ قال له: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب؛

فلا بد من الإخلاص في القول والعمل؛ حتى يتم تصحيح المسيرة على هذا المنهج.

الحادي عشر: الحرص على هداية الناس ومحبة الخير لهم؛ انطلاقاً من الأخوة الإيانية: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وانطلاقاً من أن يجب المرء لأخيه

المسلم ما يحبه لنفسه. ولذلك لا يجوز أن يكون هم الشخص هو التشفي من الناس؛ فليطهر قلبه من الغل والحقد: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

قال الشيخ حماد الأنصاري رَحِمَهُ اللهُ: «إن طالب العلم صغير العقل والسن؛ يضيع الأمة إذا تدخل فيما لا يعنيه، ولا يعرفه.» (المجموع (٥٦٢))

فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله^(٩). فلا بد من البدء بما بدأ الله به وقدمه رسوله ﷺ، ولا بد من التأسيس على هذا الركن الركين والحصن العظيم، ألا وهو تحقيق توحيد الله، وتخليصه من شوائب الشرك والبدع التي علقته به.

العاشر: ابتغاء وجه الله فيما نقول وفيما نعمل، وهذا من أعظم الأسس، فهو أساس نجاح المسيرة على هذا المنهج: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ [القصص: ٧٧]، ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢-٣].

فالإخلاص وصدق النية مع الاقتداء والمتابعة؛ هما شرط قبول أي عمل نتقرب به إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولذلك يقول النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»^(١٠)، فقد صدر كثير من أهل العلم - لاسيما علم الحديث - كتبهم بهذا الحديث العظيم.

(٩) رواه البخاري ومسلم.
(١٠) رواه الشيخان.

أخبرونا بأي معيار من معايير العدل تريدون السكوت عن إثارة الخلاف مع هذه وتحكمون بعدم ضلالها، ووجوب إثارته مع تلك وتحكمون بضلالها:

أنهاجم الإباضية ونتأخى مع الراضية مثلاً أم العكس؟ أم نشنع على الراضية ونصمت عن الصوفية؟! !

وهل هناك حقاً فرق غير ضالة، فأخبرونا - بعلم - ما هو الضلال إذًا؟ قد تقولون: «نتعاون جميعاً فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه».

فقول: إنه ما من فرقة ظهرت على الأرض تدعي الإسلام وتدعو إليه إلا ونحن متفقون معها على أشياء؛ ومختلفون على أشياء؛ حتى القاديانية نتفق معها على الإيمان بالله، وصحة نبوة محمد ﷺ والإيمان بالآخرة وتعظيم القرآن، وهم -أيضاً- يعلنون محاربة الشيوعية

وسائر الطوائف المرتدة، بل علينا أن ندعوها جميعاً إلى جمع الصف ووحدة الكلمة لمحاربة الشيوعية والصهيونية وما منها إلا من هو مستعد لذلك إن صدقاً وإن كذباً.

ومن لوازم هذا حرق كتب الأشاعرة؛ لأنها تثير الخلاف مع المعتزلة وغيرهم، فهي إذن تمزق الصف وتشتت الكلمة بل هي كما يعلم هؤلاء تشتت أهل السنة والجماعة وهم السواد الأعظم للأمة الإسلامية.

٢- وإما أن يقولوا: كلا؛ لا يعم هذا الحكم كل المنتسبين للإسلام، بل لا بد من بيان كفر وضلال تلك الفرق وليس في ذلك تفريق ولا تمزيق، وإنما نريد توحيد صف أهل السنة والفرق التي ليست ضالة ولا منحرفة!!
فقول لهم حينئذ:

أولاً: قد نقضتم قاعدتكم بأنفسكم؛ فلا ترفعوا هذا الشعار إلا مقيداً مشروطاً إن كنتم صادقين، لكن

نحن وأنتم ضد الشيوعية ومن شايعها قلنا: لا بد لكم من بيان منطلق التوحيد وموقعه، غير أننا لا بد أن نذكر بحقيقة كبرى؛ وهي: أن النبي ﷺ قد قال: «وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة»^(١) وهذا الخبر الصادق لا يمكن معه اختصار الفرق إلى سبعين ولا إلى سبع فضلاً عن واحدة.

فالخير -إذًا- كل الخير أن يبحث الإنسان عن الحق ويعتقده، ويدعو إليه ويعتمده، وإن خالفته الدنيا كلها، وأن يجتنب الضلال، ويدعو إلى نبذه ولو داهنه أصحابه كلهم؛ هذا هو الذي سار عليه رسل الله عليهم الصلاة والسلام، وأمر به الله عز وجل؛ فلا تصادموا سنن الله، ولا تخالفوا منهج رسله، والله الموعد.

(١) جزء من حديث مستفيض رواه جمع من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، واتفق علماء الحديث على تصحيحه.

والصهيونية وغير ذلك. فإذا عذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه مثل نبوة أحمد القادياني ونسخ شريعة محمد ﷺ ونحوهما، فماذا تكون النتيجة؟!

وهل ترضون ذلك أم نعود من جديد للمطالبة بالمعيار الذي به نرد القاديانية ونقبل غيرها مع اشتراك الكل في أصل الضلال والانحراف. إن سلمتم أن كل ضال لا بد من بيان ضلاله، وأن المسلمين لن يجتمعوا إلا على الحق، فقد بينا لكم -وما نزال مستعدين لمزيد بيان- أن المنهج الصحيح؛ هو: ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة ومن تبعهم بإحسان، فهاهي ذي إذًا الفرصة الذهبية لتوحيد المسلمين، وهي أن تعلن جميع الفرق في كل مكان رجوعهم إلى مذهب السلف الصالح ومنهج الحق، وحينئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

ثانيًا: إن دعوتونا إلى أن نتحد

السلفية وتشويه العابثين

د. عبد العزيز بن ندى العتيبي

لم يستطع أحد أن يقتلع الإسلام من جذوره - ولن يستطيعوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً- عندما كانت المواجهة صريحة للقضاء عليه، فلم يكن لهم ما أرادوا عندما قاموا بإعلان معاداة دين الإسلام ومحاربتة اسماً ورسماً جهاراً؛ قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة ٣٢-٣٣]؛ لذا سأتكلم على الدور المشبوه الذي يمارسه بعض ادعياء السلفية الذين يمارسون تشويه السلفية ودين الإسلام.



- ١- السلفية هي الإسلام.. والإسلام هو السلفية: اماطة الأذى عن الطريق^(١).
 - ٢- السلفية شعار الاعتقاد السليم والعمل الصحيح: الإسلام هو الإسلام، فلا يعرف الإسلام بالإسلام الجهادي، ولا يوصف بالإسلام العلمي، فهو سنة النبي ﷺ، فلا يزيغ عن هذا الطريق إلا هالك، وأن السلفية هي الإسلام، والإسلام هو الدين والإيمان والعبودية لله، فأعلاها وأفضلها وأرفعها لا إله الا الله، وأدناها هو السلفية اسم عام يشمل كل اعتقاد وعمل، عبادة ومعاملة، أخلاق وسلوك، ولقد كان القدوة والسلف في هذا الأمر كله، هو صاحب الرسالة، وحامل الوحي: النبي ﷺ، وأصحابه الكرام
- (١) البخاري (٩)، مسلم (٣٥).

الذين نصرّوا دعوته، واقتدوا بهداه، ونشروا دينه، وبلغوا سنّته، ولم يجيدوا عن أثره أو يخالفوا أمره؛ عن العرباض بن سارية؛ قال: وعظنا رسول الله ﷺ

موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، قلنا: يا رسول الله! أن هذه لموعظة مودع فماذا تعهد إلينا؟ قال: «قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ»^(٢).

بينما أن الإسلام لا يعرف بالإسلام العلمي، ولا يوصف بالإسلام الجهادي، ولا ينبغي أن يطلق عليه الإسلام الحركي، وهو اصطلاح المثقفين المعاصرين، وكذلك الحذر من تسميته بالإسلام السياسي؛ فإنه لمز المعادين وقول المخالفين؛ قال تعالى:

﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [العنكبوت: ٦٨].

وقد ورد ذكر الإسلام في كتاب الله عز وجل في مواضع كثيرة مطلقاً من غير قيد؛ كما في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]؛ فإذا كان لا يصح أن يقال الإسلام

والسلفية شعار لأهل السنة ظهوراً وتميزاً عن كل مخالف، وليست من باب التزكية بل إعلان التمسك بالحق ومتابعة سبيل المؤمنين، فمن قال: أنا على السلفية، أو أنا سلفي، أو أنا على مذهب السلف لا ينكر عليه؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لا عيب على من أظهر مذهب السلف، وانتسب إليه، واعتزى إليه، بل يجب

(٣) «مجموع الفتاوى» (٤/١٤٩).

(٢) «المسند» (٤/١٢٦)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٤) في «السنن» بإسناد صحيح.

العلمي؛ فلا يصح تركيب السلفية العلمية، ولا تقييدها بقيد، إلا إذا كان ما أرادوه معنى آخر!!، وإذا كان لا يقال: الإسلام الجهادي؛ فلا يصح تركيب السلفية الجهادية، إلا أن أرادوا معنى مغايراً عن الإسلام، وإذا كان لا يصح القول بالإسلام السياسي، فيصبح مفهوم السلفية السياسية مفهوماً يخالف مفهوم الإسلام، هذا على التسليم أنهم موافقون لنا، ويذهبون إلى أن الإسلام النقي هو السلفية، والسلفية الصافية هي الإسلام. ومما تقدم نعرف:

٤- الفرق بين السلفية المطلقة والسلفية العلمية أو السياسة أو الجهادية: السلفية التي ذكرها أهل العلم واصطلحوا عليها؛ تعني: الإسلام بعمومه ورخصه وعزائمه، وتعني: الدقة والجد في الاقتداء، والعمل بالنقل من النصوص الشرعية، والآثار الصحيحة، وطرح الرأي والاستحسانات العقلية، فطريق النقل واحد من عند الله، وعقول البشر مختلفة وشتى، فهل يستويان مثلاً، قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَابِهُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:

١- أن امتثال الإسلام مطلق من غير قيد.

٢- والاتباع مطلق من غير قيد.

٣- وأن السير على نهج السلف مطلق

بلا قيود.

٤- واصطلاح السلفية يطلق من غير قيود، والسلفية هي الإسلام في شموله

الذي بعث به سيد الأولين والآخرين

رحمة من رب العالمين، وما ضل من ضل

من الطوائف والفرق، وما جرى من

محن وفتن وويلات على أمة الإسلام،

٢٩]، لا يستوي التلقي من طريق واحد معصوم، والتلقي من جهات متفرقة غير محصنة بالعصمة، قائمة على الاختلاف والتفاوت، وصدق الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. أ- السلفية طريقة العلماء الأجلاء:

فاعلم -رحمك الله- أن هذه الأسماء المستحدثة من سلفية علمية أو سياسية أو جهادية ما أنزل الله بها من سلطان، فلا يغتر بها إنسان من عوام المسلمين ممن يحسنون الظن بالسلفية وطريقة العلماء الأجلاء، ولا يضرنا ما أفسدته هذه الطرق والدعوات على الناس في أمور الدين والدنيا، وذلك بالانتساب إليها، أو استغلالها لهذا الشعار العظيم (السلفية) الذي يشق الأرض طولاً وعرضاً بنقائه وصفائه، معتقدين أنهم بهذا التشويه صرف الناس عن الحق الى الباطل الذي يدعون اليه، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]، فالواجب علينا العمل بهمة عالية،

والاقتداء بسلف الأمة في كل شؤون الحياة، والاهتمام بأمور الشرع، واتباع السنة في الصغير منها والكبير، وكما جاء باللفظ الشرعي «أعلاها وأدناها» بلا قيود ومن غير حدود، إلا ما جاء الشرع ببيان حده، وكشف عن ضوابطه وقواعده.

ب- تقييد مفهوم السلفية تشويه لمعنى الإسلام:

وما تلك الممارسات المنحرفة والجرائم البشعة وسفك الدماء المعصومة إلا نوع من جنس أعمال الخوارج، بل الخوارج في أوج مذهبهم لم يحدوا ويفسدوا كما أفسد أولئك المعاصرون، ويشاهد العالم المسلم والكافر عبث هؤلاء الذين أوقعوا الأمة في ويلات، وجروا على المسلمين الآمنين أذى علمه القاصي والداني، ووصلوا إلى درجة تشويه الإسلام وباسم السلفية.

ت- إياك والسلفيات المزورة:

اعلموا إخواني رحمكم الله أن الانتساب إلى الإسلام والسلفية، وكونه مازال في دائرة الإسلام لا يمنحه ذلك

النبي ﷺ قال: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم، عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، إلا ليلغ الشاهد منكم الغائب»^(٤).

٣- وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا»^(٥).

ولذا قال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إن من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها، سفك الدم الحرام بغير حله»^(٦).

٤- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام، ماله، وعرضه، ودمه، حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم»^(٧). والله الحمد من قبل ومن بعد.

البراءة من أفعاله وجرائمه، ومعلوم أنه اتخذ شعار السلفية مستغلاً نقاء الاسم وطهارته ليدرك جرائمه، وهذا التزوير لن يشفع له، فالسلفية منه براء، بل سلفه الخوارج والعباثين، فكيف وقد سمى نفسه - أو سُمِّي - بالسلفية الجهادية؛ قال تعالى: ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [التوبة: ٣٠]، وأخذ يسفك يديه دماء المسلمين الآمنين؛ قال تعالى: ﴿وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ﴾ [الأنفال: ٣٠].

ث- السلفية تعصم الدماء وتحفظ الحرمات: ألا يوقف من يسمون أنفسهم بالسلفية الجهادية ويردعها النصوص الشرعية من الكتاب والسنة:

١- قال تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

٢- وعن أبي بكر رضي الله عنه، عن

(٤) البخاري (١٧٤١) ومسلم (١٦٧٩)

(٥) البخاري (٦٨٦٢).

(٦) البخاري (٦٨٦٣).

(٧) مسلم (٢٥٦٤).

تحذير الطلاب من التصدر في العلم قبل التأهل

الأستاذ هاشم الهاشمي

رأيت في الأيام الفاتئة أمراً منكراً لم يعهد فيمن سبق، وهو حرص بعض الناشئة على تسجيل خطبهم ثم نشرها بأنفسهم على وسائل التواصل الاجتماعي، وهذا نذير شؤم، ودال على فساد النية.

قال الشيخ بكر أبو زيد رَحْمَةُ اللَّهِ فِي «حلية طالب العلم»: «احذر التصدر قبل التأهل، وهو آفة في العلم والعمل، وقد قيل: من تصدر قبل أوانه، فقد تصدى لهوانه». ١.هـ

وليس الإشكال أن ينشر بعض المحبين لأحدهم كلمة أو خطبة ظنها نافعة للناس، ولكن الخطير أن يحرص الشخص على ذلك بنفسه، وهو ما يزال في أول الطريق؛ فالقلب لم يثبت بعد على قاعدة الإخلاص، وفيه دلالة على اغترار العبد بنفسه وإحسانه الظن بها.

قال الشيخ العثيمين رَحْمَةُ اللَّهِ: «مما يجب الحذر منه أن يتصدر طالب العلم قبل أن يكون أهلاً للتصدر؛ لأنه إذا فعل ذلك كان هذا دليلاً على أمور:
الأمر الأول: إعجابه بنفسه حيث تصدر؛ فهو يرى نفسه علم الأعلام.

الأمر الثاني: أن ذلك يدل على عدم فقهه ومعرفته للأمور؛ لأنه إذا تصدر، ربما يقع في أمر لا يستطيع الخلاص منه، إذ أن الناس إذا رأوه متصدراً أوردوا عليه من المسائل ما يبين عواره.

الأمر الثالث: أنه إذا تصدر قبل أن يتأهل لزمه أن يقول على الله ما لا يعلم؛ لأن الغالب أن من كان هذا قصده، أنه لا يبالي ويحيب على كل ما سئل، ويخاطر بدينه

وبقوله على الله - عز وجل - بلا علم.

الأمر الرابع: أن الإنسان إذا تصدر فإنه في الغالب لا يقبل الحق؛ لأنه يظن بسفهه أنه إذا خضع لغيره ولو كان معه الحق كان هذا دليلاً على أنه ليس بعالم». ١.هـ.

وقال الشيخ حماد الأنصاري رَحِمَهُ اللهُ: «تصدّر للتأليف والنقد في عصرنا هذا كثير من الشباب وأغلبهم - بل كلهم - ليس أهلاً للتأليف والنقد، لعدم مخالطتهم لأهل العلم واستشارتهم لهم، والدافع لهم أمران: التكسب، وحب الظهور».

«المجموع» (ص ٥٦٣).

وقال إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللهُ: «كنا إذا رأينا الشاب يتكلم في المجلس أيسنا من خيره».

«البداية والنهاية» (١٠/٢٠٨).

وقال الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: «إذا تصدر

الحدث، فاته علم كثير».

«صفة الصفوة» (٢/٥٥٣).

والحمد لله رب العالمين

التوحيد أول المراحل وأعلى الغايات

فهو أول الدين وأوسطه وآخره، ولا ينتقل منه إلى غيره، بل فلك الدعوة يدور عليه؛ ويحوم حوله، وإلا فهي دعوة فاشلة!

والحكيم بيننا: سنة نبينا صلى الله عليه وسلم، فقد دعا إليه طول حياته؛ وفي العهدين المكي والمدني.

بل في سكرات الموت كان يحذر من ما يضاده من الشرك ووسائله.

بل ينزل الله عليه حين أم الأنبياء في بيت المقدس لواسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون؛ فلو كان شيء أجل من التوحيد لأمره بالسؤال عنه!!

فياك أخ الإسلام أن تسمع لمن يقول: أنتم لا زلتم في شرك القبور وتناسيتم شرك القصور!

وما علم هذا الجاهل حقيقة قول العارفين بالله: «واجتبني وبنني أن نعبد الأصنام!!»

ولا تلتفت أخوا الإسلام لدعاة التحزب حين يقولون: المرحلة القادمة، وإن الأمة لا تحتاج للكلام في التوحيد، وإنما تحتاج للكلام في الطواغيت!!

واحذر مثل هذا الدعوات التي مقصودها التفسير من الدعوة إلى التوحيد، وتصوير دعواته في أشع صورة، وأنهم لا يواكبون الواقع ولا يعرفون فقهه!!

ماذا يعني حبك للدعوة السلفية؟

الأستاذ سعيد الغامدي

إن حبك للدعوة السلفية يعني الحرص على نشرها بين الناس أكثر من حرصك على سلبها من الناس، وحرصك على إدخال الناس فيها أكثر من حرصك على إخراج الناس منها.

ودفاعك عن العقيدة السلفية يعني: ضرورة توكيرك واحترامك لمن يحملها بين جنبيه، وليس شتم وإهانة من قضى عمره وأفناه في نشرها بين الناس، وربما دافع عنها قبل أن تولد أنت.

وغيرتك على الدعوة السلفية تعني: أنك لا تحتزلها وتحتكرها في شخص بعينه؛ فمن وافقه في فتاويه وأقواله وأفعاله فهو السلفي المحض، ومن خالفه وشذ عنه فهو المبتدع المحترق.

وتضحيتك للعقيدة السلفية يعني: أنك مهما بذلت لها من جهد، وتعبت من أجلها، وأوذيت في سبيلها؛ فإن غيرك قد تعب أكثر منك، ولاقى صنوفاً من الأذى أشد منك، وربما سجن وضرب وطرد أكثر منك!

وخوفك على الدعوة السلفية يعني: أنك تخاف من نفسك أولاً على الدعوة السلفية: فسرائرنا ونياتنا إن لم تكن خالصة وصادقة ربما كانت حجر عثرة في نشر الدعوة والسلفية.

وعطاؤك للدعوة السلفية يعني: أنك كلما أدخلت أحداً في الدعوة السلفية؛ فاستقام على يديك حتى كثر الذين استقاموا بسببك تذكر: أنك حسنة واحدة فقط من حسنات احد الذين سبقوك.

انتبه...أفق من غفوتك!! لا تشغل نفسك بغيرك

الدكتور محمد سعيد رسلان

من الأمور العجيبة أن هذا الذي نقرؤه، وكذا هذا الذي تسمعه كأنه ليس لي ولا لك -يعني هو ينزل على قلوبنا من غير أن يحدث أثرًا-!!
هذا الذي تسمعه لا بد أن تمر به؛ ستقبر، ستغيب، سيدعك أحباؤك ويمضون؛ لكي يزاولوا حياتهم، ويرجعوا إلى شؤونهم، وسوف يتركوك للهوام، سوف يتركوك للدود، سوف يتركوك للأرض، سوف يتركوك من أجل أن تخرج منك رائحة لو أن أحدًا منهم شمها؛ فلن يطيقها، وكنت من أحب الناس إليه.



فعلى الإنسان أن يأخذ هذه النصوص مأخذ الجد، ليست متاعاً عقلياً، ولا ترفاً فكرياً، ولا هي بحكايات تحكى، هذا ستره حتماً ولا بد؛ إما أن تكون معذباً، وإما أن تكون في القبر منعماً، وإذا كنت لا تدري من أي الفريقين أنت؛ فلماذا الأمان إذن؟!

لماذا الضحك إذن؟!

لماذا العبث إذن؟!

لماذا إنفاق الحياة فيما لا يجدي

المسئولية فردية، اتق الله في نفسك، أنت مسئول وحدك، مقبور وحدك، مسئول في القبر وحدك، تبعث وحدك، تنشر وحدك، تسأل وحدك، تدخل الجنة وحدك، أو تدخل النار وحدك، فاتق الله في نفسك، لا تشغل نفسك بغيرك، اشغل نفسك بنفسك، حاول أن تصلح أحوالك، حاول أن تقبل على ذاتك وخويصة نفسك، اتق الله في مستقبلك الأخرى، فإن الدار الآخرة هي الحيوان، هي الحياة الحقيقية.

عليك نفعًا لا في الدنيا ولا الآخرة
 إذن؟ لماذا؟!
 سل نفسك!! قف على رأس طريقك!!
 انتبه... أفق من غفوتك!!
 قم من رقدتك!! اتق الله في آخرتك!!
 أحسن إلى نفسك فإن الأمر جد
 لا هزل فيه، ولا أحد ينفع أحدًا؛
 سيفر منك أبوك، وستفر أنت من
 أبيك ومن أمك وأخيك، وصاحبتك
 وبنيك، لك شأن وحدك تحرص على
 أن يمر، لن تعطي أباك حسنةً واحدةً،
 ولن يعطيك، وابنك لن يعطيك ولن
 تعطيه لا أب ولا أم، ولا أخ ولا أخت،
 ولا ابن ولا زوجة!!
 اتق الله في نفسك، أنت وحدك!!
 فاتق الله في نفسك، لا مجال للعبث،
 الحياة جد لا هزل فيها؛ لأنها محنة،
 قد تؤول إلى منحة، ولكنها في الغالب
 في أمثالنا نحن من المفرطين منحة
 صارت محنة؛ لأن الله يعطي المرء الحياة
 وهي نعمة، من أجل أن يستغلها فيما
 أمره بأن يستغلها فيه، فتكون منحةً

على هذا الاعتبار، فإذا ما بددناها،
 إذا ما أنفقناها في العبث؛ في المعاصي،
 في الآثام، في الذنوب، وفي أمور تتعلق
 بحقوق العباد، فكيف منها المخلص؟
 وأين منها المهرب؟!
 كيف يفر المرء من حق لأخيه
 عنده؟! ولا درهم ولا دينار؛ وإنما
 الحساب بالحسنات والسيئات، ويأتي
 الرجل بأعمال صالحات ربما كأمثال
 جبال تهامة بيضاء، ولكن ضرب هذا،
 وشتم هذا، واعتدى على هذا، وأكل
 مال هذا، يأخذ هذا من حسناته وهذا
 من حسناته؛ فنيت حسناته، يؤخذ من
 سيئاتهم ويطرح عليه، ثم يطرح في
 النار، مفلس!!
 لماذا يصنع المرء بنفسه هذا؟ أهو عدو
 نفسه؟!
 أمسلط أنت على نفسك؟! خلقت
 عدوًّا لها؟! تريد أن تهلكها؟! تريد أن
 تدخل نفسك النار؟!
 اتق الله!!
 والله المستعان...

فقه السعة

الأستاذ مبارك فوزي الخصاونة

من منهج السلف في المسائل الاجتهادية: قال التابعي يحيى بن سعيد الأنصاري: «ما برح أولو الفتوى يختلفون، فيحل هذا ويحرم هذا؛ فلا يرى المحرم أن المحل هلك لتحليله، ولا يرى المحل أن المحرم هلك لتحريمه».

رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم.

السلفية

قال سفيان الثوري: «إذا رأيت السعة». وقال الإمام أحمد: «لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق بن راهويه، وإن كان يخالفنا في أشياء؛ فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضًا!»

وقال الإمام أحمد: «لا تحمل الناس على مذهبك».

قال ابن تيمية: «مسائل الاجتهاد مَنْ عَمَل فِيهَا بِقَوْلِ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ؛ لَمْ يُنْكَرْ عَلَيْهِ وَلَمْ يُهَجَّرْ، وَمَنْ عَمَل بِأَحَدِ الْقَوْلَيْنِ؛ لَمْ يُنْكَرْ عَلَيْهِ».

الفتاوى «٢٠٧ / ٢٠».

قال سفيان الثوري: «إذا رأيت الرجل يعمل العمل الذي قد اختلف فيه، وأنت ترى غيره؛ فلا تنهه».

رواه الخطيب في الفقيه والمتفقه.

وقال أحمد بن حنبل: «من أفتى الناس ليس ينبغي أن يحمل الناس على مذهبه ويشدد عليهم».

رواه أبو نعيم في الحلية.

وألف رجل كتابًا جمع فيه أقاويل الناس وعرضه على الإمام أحمد، وكان قد سمى كتابه: كتاب الاختلاف، فقال له الإمام أحمد: «سمه: كتاب

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله في إحدى رسائله:

«وقد بلغني: أنكم اختلفتم في مسائل (أدى بكم) إلى النزاع والجدال، وليس هذا شأن طلاب الآخرة؛ فاتقوا الله، وتأدبوا بآداب العلم، واطلبوا الثواب من الله في تعلمه وتعليمه، وأتبعوا العلم العمل؛ فإنه ثمرته في حصوله، كما في الأثر: «من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم»، وكونوا متعاونين على البر والتقوى.

ومن علامة إخلاص طالب العلم: أن يكون صموتًا عما لا يعنيه، متذللًا لربه، متواضعًا لعباده، متورعًا متأدبًا، لا يبالي ظهر الحق على لسانه أو لسان غيره، ولا ينتصر لنفسه، ولا يفتخر، ولا يحقد، ولا يحسد، ولا يميل به الهوى، ولا يركن إلى زينة الدنيا». «الدرر السنية» (١/٤٠٥-٤٠٦).

وقال ابن تيمية: «...المسائل الاجتهادية لا تنكر باليد، وليس لأحد أن يلزم الناس باتباعه فيها، ولكن يتكلم فيها بالحجج العلمية؛ فمن تبين له صحة أحد القولين: تبعه، ومن قلد أهل القول الآخر فلا إنكار عليه». الفتاوى (٨٠/٣٠).

وقال ابن تيمية في الفتاوى (٢٤/١٧٢): «وكانوا أي: السلف يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية، مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين».

وقال ابن تيمية: «...أهل التوحيد... وإن حصل بينهم تنازع في شيء مما يسوغ فيه الاجتهاد؛ لم يوجب ذلك تفرقًا ولا اختلافًا، بل هم يعلمون أن المصيب منهم له أجران، وأن المجتهد المخطئ له أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور له».

«اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/٣٨١).

علم العلل والمعاني في فقه الصحابة الاجتهادي

د.إياد العكلي

قد مدح الله -تعالى- أهل الاستنباط في كتابه وأخبر أنهم أهل العلم؛ ومعلوم أن الاستنباط إنما هو استنباط المعاني والعلل.. وهو قدر زائد على مجرد فهم اللفظ، فإن ذلك ليس طريقة الاستنباط.. والله -سبحانه- ذم من سمع ظاهراً مجرداً فأذاعه وأفشاه، وحمد من استنبط من أول العلم حقيقته ومعناه.

وأثره في فهم دلالات النصوص ومراعاة مقاصد الشرع ما بُني على تميّز اجتهادات الصحابة الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ المبنية على تأثير تعليل النص على دلالته، إذ قد ضربوا في هذه الصناعة بحظ وافر وكان لهم فيها القدر القامر، وسأذكر بعض الأمثلة اليسيرة على ذلك مما يتسع له المقام:

١- الصلاة في بني قريظة:
عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال:
نادى فينا رسول الله ﷺ يوم انصرف عن الأحزاب «أن لا يصلين أحد الظهر إلا في بني قريظة»، فتخوّف ناس فوت الوقت،

والناس في إعمال فن الاستنباط طرفان ووسط، فأحد الطرفين من ينفي العلل والمعاني والأوصاف المؤثرة، ويجوّز ورود الشريعة بالفرق بين المتساويين والجمع بين المختلفين.. وبإزاء هؤلاء قوم أفرطوا فيه، وتوسعوا جدّاً، وجمعوا بين الشيين اللذين فرق الله بينهما بأدنى جامع من شبه أو طرد أو وصف يتخيلونه علة يمكن أن يكون علته وأن لا يكون^(١).

وإن من أعظم الأسس التي يُستند إليها في تأصيل وتقرير علم تعليل الأحكام

(١) «إعلام الموقعين» (١/ ١٧٢ و ٢٠٠).

فصلوا دون بني قريظة، وقال آخرون: لا نصلي إلا حيث أمرنا رسول الله ﷺ، وإن فاتنا الوقت، قال: فما عنف ﷺ واحداً من الفريقين^(٢).

فيلحظ أن الصحابة الذين صلوا في الطريق قبل أن يصلوا بني قريظة نظروا إلى المعنى لا إلى اللفظ «فاجتهد بعضهم وصلوها في الطريق، وقال: لم يرد منا التأخير، وإنما أراد سرعة النهوض»^(٣) فصلوا حين خافوا فوت الوقت، ففيه دلالة لمن يقول بالمفهوم والقياس ومراعاة المعنى^(٤).

٢- النهي عن الوصال في الصوم^(٥):
عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «لا تواصلوا»، قالوا: إنك تواصل، قال: «إني لست مثلكم، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني»، فلم ينتهوا عن الوصال، قال: فواصل بهم النبي ﷺ يومين أو

٣- إمامة أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وتأخره:
عن سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ ذهب إلى بني عمرو بن عوف ليُصلح بينهم، فحانت الصلاة، فجاء المؤذن إلى أبي بكر فقال: أتصلي للناس فأقيم؟ قال: نعم، فصلّى أبو بكر، فجاء رسول الله ﷺ والناس في الصلاة، فتخلص حتى وقف في الصف، فصفق الناس وكان أبو بكر لا يلتفت في صلاته، فلما أكثر الناس التصفيق التفت، فرأى

(٢) البخاري (٩٤٦)، مسلم (١٧٧٠) واللفظ له.
(٣) إعلام الموقعين لابن القيم (١/١٥٥).
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٢/٩٨)، وانظر: فتح الباري لابن حجر (٧/٤٠٩).
(٥) «وهو صوم يومين فصاعداً من غير أكل أو شرب بينهما»، شرح النووي على مسلم (٧/٢١١).

(٦) البخاري (٧٢٩٩) واللفظ له، مسلم (١١٠٣).
(٧) الموافقات للشاطبي (٣/٤١٤).

رسول الله ﷺ، فأشار إليه رسول الله ﷺ: «أن امكث مكانك»، فرفع أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يديه، فحمد الله على ما أمره به رسول الله ﷺ من ذلك، ثم استأخر أبو بكر حتى استوى في الصف، وتقدم رسول الله ﷺ، فصلى، فلما انصرف قال: «يا أبا بكر ما منعك أن تثبت إذ أمرتك» فقال أبو بكر: ما كان لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «مالي رأيتم أكثرتم التصفيق، من رابه شيء في صلاته، فليسبح فإنه إذا سبح التفت إليه، وإنما التصفيق للنساء»^(٨).

في هذا الحديث أمر النبي ﷺ أبا بكر بالثبوت في مكانه، فكان مقتضى ظاهر الأمر أن يبقى أبو بكر في مكانه من غير استئخار، لكن هذا ما لم يكن، وذلك أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نظر إلى علة أمر النبي ﷺ له بالثبوت فوجد أن الأمر لم يخرج مخرج الإلزام، وإنما خرج مخرج الإكرام، فلما كان كذلك رأى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن سلوك الأدب في مثل هذا المقام أولى من امتثال الأمر

(٨) البخاري (٦٨٤)، مسلم (٤٢١).

فاستأخر مع أمر النبي ﷺ له بالثبوت^(٩).

٤- جعل الدية على أهل الديوان:

قضى النبي ﷺ بأن الدية على العاقلة - وهم عشيرة القاتل-، وعلى ذلك جرى الأمر في عهد أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى إذا جاء عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ودون الدواوين، جعل الدية على أهل الديوان، إذ نظر إلى أهل الديوان نظرة القبيلة الواحدة، فصار الناس يتناصرون بالديوان بعد أن كانت نصرتهم بالقبيلة، «وأجمع أهل السير والعلم بالخبر أن الدية كانت في الجاهلية تحملها العاقلة فأقرها رسول الله ﷺ... ثم جاء الإسلام فجرى الأمر على ذلك حتى جعل عمر الديوان، واتفق الفقهاء على رواية ذلك والقول به وأجمعوا أنه لم يكن في زمن رسول الله ﷺ ولا في زمن أبي بكر ديوان، وأن عمر جعل الديوان وجمع به الناس وجعل أهل كل جند يدًا وجعل عليهم قتال من يليهم من العدو»^(١٠)، «وليس ذلك بنسخ، بل هو تقرير معنى، ودوران الحكم مع علته وهو

(٩) أثر تعليل النص على دلالته، أيمن علي صالح،

ص ٩٤.

(١٠) الاستذكار لابن عبد البر (١٤٩/٨).

للصلاة»^(١٣)، ولو كان أمر المحو على ظاهره «لم يجز لعي تركه، ولما أقره النبي ﷺ على المخالفة»^(١٤)، فظهر بذلك أثر تعليل النص على فهم دلالاته.

٦- الإتمام في السفر:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «الصلاة أول ما فرضت ركعتين، فأقرت صلاة السفر، وأتمت صلاة الحضر» قال الزهري: فقلت لعروة: ما بال عائشة تتم؟ قال: «تأولت ما تأول عثمان»^(١٥).

فما التأويل الذي ذهب إليه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بحيث خالفا دوام فعل النبي ﷺ بالقصر في السفر؟ «الذي عليه المحققون أنهما رأيا القصر جائزا والإتمام جائزا فأخذا بأحد الجائزين وهو الإتمام»^(١٦)، يوضحه ما رواه البيهقي عن عروة عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «أنها كانت تصلي في السفر أربعاً، فقلت لها: لو صليت ركعتين؟ فقالت: يا ابن أختي، إنه لا

النصرة»^(١١)، فإعماله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لعلم العليل والمعاني نابع من نقله الدية من العاقلة إلى أهل الديوان لما علم أنها شرعت تخفيفاً عن الجاني، وأقرب الناس وأولاهم بتحمل ذلك - في زمنه - أهل الديوان حيث بهم النصرة.

٥- رفض علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ محو الصحيفة: عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما صالح رسول الله ﷺ أهل الحديبية، كتب علي بن أبي طالب بينهم كتاباً، فكتب: محمد رسول الله، فقال المشركون: لا تكتب محمد رسول الله، لو كنت رسولا لم نقاتلك، فقال لعلي: «احمه»، فقال علي: ما أنا بالذي أمحاه، فمحاه رسول الله ﷺ بيده...^(١٢)، ففي هذه الحادثة لم ير علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمر النبي ﷺ له بمحو الاسم مخرج مخرج الإلزام وإنما «علم أن رسول الله ما قصد بها أمر به إلا تتميم الصلح لما رأى فيه من الحظ

(١٣) أصول السرخسي (١٣٧/٢).

(١٤) شرح النووي على مسلم (١٢/١٣٦).

(١٥) البخاري (١٠٩٠)، مسلم (٦٨٥).

(١٦) شرح النووي على مسلم (٥/١٩٥).

(١١) تعليل الأحكام، محمد مصطفى شلبي،

ص ٤٢.

(١٢) البخاري (٢٦٩٨)، مسلم (١٧٨٣).

يشق علي^(١٧)، وبهذا يتضح أن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بنت علة القصر على التيسير والترخيص ورفع المشقة، وبناءً عليه «تأولت أن القصر رخصة، وأن الإتمام لمن لا يشق عليه أفضل»^(١٨).

٧- الغسل يوم الجمعة:

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم»^(١٩)، وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «إذا جاء أحدكم الجمعة، فليغتسل»^(٢٠)، وقد أخذ بظاهرهما جمع من أهل العلم فأوجبوا الغسل يوم الجمعة^(٢١)، إلا أن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أناط ظاهر الأمر بالتعليل، فقد سُئل عن غسل يوم الجمعة: أوجب هو؟

فقال: «لا، ولكنه أظهر لمن اغتسل، ومن لم يغتسل فليس بواجب عليه، وسأخبركم عن بدء الغسل: كان الناس مجهودين يلبسون الصوف ويعملون، وكان مسجدهم ضيقاً، فلما آذى بعضهم بعضاً، قال النبي ﷺ: «أيها الناس إذا كان هذا اليوم فاغتسلوا»، قال ابن عباس: «ثم جاء الله بالخير ولبسوا غير الصوف وكفوا العمل ووسع المسجد»^(٢٢)، فالملاحظ في اجتهاده رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه نظر إلى علة الأمر بالغسل، فمن به راحة يحتاج إلى إزالتها فيجب عليه، ومن هو مستغن عنه، فيستحب له، وهذا التفصيل اختاره جمع من أهل العلم^(٢٣).

هذه بعض الصور التي توضح اجتهادات الصحابة الكرام رَضِيَ اللهُ عَنْهُم

(١٧) السنن الكبرى للبيهقي (٥٤٣٠)، وصححه ابن حجر (فتح الباري: ٢/٥٧١).
 (١٨) فتح الباري لابن حجر: ٢/٥٧١.
 (١٩) البخاري (٨٥٨)، مسلم (٨٤٦).
 (٢٠) البخاري (٨٧٧)، مسلم (٨٤٤).
 (٢١) انظر: شرح النووي على مسلم (١٣٣/٦)، فتح الباري لابن حجر (٢/٣٦١).

(٢٢) سنن أبي داود (٣٥٣) وحسنه الألباني والأرنؤوط بتحقيقها عليه، وابن حجر (فتح الباري: ٢/٣٦٢).
 (٢٣) انظر: فتح الباري لابن حجر: ٢/٣٦٣، واختيارات ابن تيمية للبعلي (ص ١٧)، وزاد المعاد لابن القيم (١/٣٦٥).

في فهم النصوص الشرعية بناء على علم العلل والمعاني، حيث جاوزوا ظاهر الجمود على النص، وتوسّعوا فلم يقفوا على العلل المنصوصة بل تعدّوها إلى العلل المستنبطة، وقد كان عمادهم في ذلك مراعاة مقاصد الشرع وتوخي المصالح المتبررة، فإنهم «فهموا - من مصادر الشرع وموارده، ومداخل أحكامه ومخارجه ومجاريه ومباثته - أنه عليه السلام كان يتبع المعاني، ويتبع الأحكام الأسباب المتقاضية لها من وجوه المصالح، فلم يعولوا على المعاني إلا لذلك، ثم فهموا: أن الشارع جوّز لهم بناء الأحكام على المعاني التي فهموها من شرعه»^(٢٤)، «ونحن نعلم أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يتدرون إلى القياس في الحوادث ما شدّ منها وما ظهر، ونعلم قطعاً أنهم كانوا لا يتوقفون في إلحاق الفروع بالأصول على ثبوت علل منصوصة

بألفاظ مصرح بها وهذا ما لا سبيل إلى جحده، والذي يوضح ذلك أنهم اعتبروا طرق القياس في غوامض المسائل مع شغورها عن العلل المنصوصة في أصولها»^(٢٥)، «كما علمنا تمسّكهم بالأقيسة، فكذلك علمنا تعلقهم بترجيح بعضها على بعض بذكر وجوه الشبه وغيرها من ضروب الترجيح»^(٢٦)، وليعلم أنّ متركز ضبط وفهم علم تأصيل المعاني والعلل قائم على «موافقة العلل المنقولة عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة، غير نائية عن طريقهم في التعليل؛ لأن الكلام في العلة الشرعية والمقصود إثبات حكم الشرع بها، فلا تكون صالحة إلا أن تكون موافقة لما نقل عن الذين بنينهم عرف أحكام الشرع»^(٢٧)، والحال مع هذا كله

(٢٥) التلخيص في أصول الفقه للجويني (٢٤٧/٣).

(٢٦) المرجع السابق (٣/٣٢٣).

(٢٧) أصول السرخسي (٢/١٧٧).

(٢٤) شفاء الغليل للغزالي (ص ١٩٠).

التلون ليس من شيمة أهل السنة

قال شيخ الإسلام بن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «... وصاحب الهوى يعميه الهوى ويصمه، فلا يستحضر الله ورسوله في ذلك، ولا يطلبه، ولا يرضى برضا الله ورسوله، ولا يغضب لغضب الله ورسوله، بل يرضى إذا حصل ما يرضاه بهواه، ويغضب إذا حصل ما يغضب له بهواه...».

«منهاج السنة» (٢٥٦/٥)

قال الحافظ ابن القيم رحمه الله: «ومعلوم أنه إذا ازدوج التكلم بالباطل والسكوت عن بيان الحق تولد بينهما جهل الحق وإضلال الخلق».

«الصواعق المرسلة» (٣١٥/١)

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: «إن كنت وحيداً في بلدك تدعو إلى السنة واتباع السلف، وكثر الأعداء الذين يدعون إلى مذهبهم الباطل، فالواجب ألا تنهزم؛ لأنك إذا انهزمت فقد هزمت الحق، بل اثبت وما أربع أعداءك إذا رأوك ثابتاً».

«شرح الكافية الشافية» (٢٠١/١)

قال الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله: «فالدعوة عندنا؛ أعز من أنفسنا، ومن أهلينا، وأموالنا، ومستعدون أن نأكل ولو التراب ولا نخون ديننا وبلدنا، ولا نتلون؛ التلون ليس من شيمة أهل السنة».

«الباعث على شرح الحوادث» (ص ٥٧)

أن المجتهد مهما برع في هذا العلم فلا يسع غلبة ظنه تقدير الحق الكامن كما ذهب إليه الأولون من الصحابة الكرام وفي هذا يقول إمام الحرمين الجويني: «سبيل التوصل إلى غلبة الظن ما نذكره الآن وهو: أن المجتهد يعلم أن الصحابة رضي الله عنهم تمسكوا باعتبار العلل وغلبة الأشباه وحكموا بما يخطر لهم من قضاياها فيسلك المجتهد مسلكهم، مع أنه يعتقد عدم تعيين حكم محقق أو مقدر، فمهما قدر نفسه سالكاً مسلكهم في الحادثة الواقعة فيغلب على ظنه عند ذلك موجب اجتهاده فقد وضح وجه التوصل إلى غلبة الظن من غير تقدير الأشبه كما صرتم إليه، ومن غير تقدير الحق الكامن، كما صار إليه الأولون»^(٢٨).

(٢٨) أصول السرخسي (١٧٧/٢).

هل أكثر علماء الأمة أشاعرة؟

الدكتور راشد المرزوقي

تخيّل أنّ هنا جنةً واسعةً، وارفة الظلال، كثيرة الأشجار، متنوّعة الأصناف، لا يرى آخرها من أولها، ثم قيل لرجل: صف لنا هذه الحديقة، فدخلها وعد مائة شجرة عنب، ثم خرج يقول للناس: ليست هذه إلا حديقة عنب، ولا يمكن أن تجد فيها إلا أشجار عنب، فإن قيل له: بل فيها أنواع وأصناف من الأشجار، صاح بهم مستكثراً لما جمع مستكثراً لما سمع: قد رأيت مائة شجرة عنب، فلا يمكن أن تكون إلا حديقة عنب! وغفل المسيكين أن وراء تلك المائة ألوفاً من الأشجار الأخرى، وأن تلك المائة ليست إلا كمثّل حفنة تراب في كف صبي من صحراء شاسعة.



فإذا تصورت هذا المثال؛ فإن ما يحصل من بعض الأشاعرة الجدد - من دعواهم أن أكثر العلماء أشاعرة - هو ما حصل من هذا الرجل شبراً بشبر! (الحاكم، وأبو نعيم، والبيهقي، وابن الصلاح، والنسفي، وأبو حيان، والقرطبي، والنووي، والزركشي، وابن حجر، والسيوطي...) قائمة طويلة من أسماء العلماء على مر القرون، ينشرها ويتمسك بها الأشاعرة الجدد في مقام محاجة السلفيين! يتغنون بها في كلّ حفل، ويزاحمون بها في كلّ ناد، ويطيرون بها في كل مجلس، بل وصل الأمر إلى أن يودعوها سبيل التكثر بالعلماء ادّعاء أن علماء الأشاعرة هم أكثر الأمة، ونتيجة ذلك عندهم: أنّ الأشاعرة هم أهل السنة والجماعة، وهم أهل الحق لا سواهم. ثم يقولون: كيف يزعم السلفيون أنهم

وعطف سردهم المطول بنز المخالفين لهم بالحشوية والمجسمة والمشبهة؛ لما رفعنا لها رأساً، ولما كتبنا فيها حرفاً! أما وقد لبسوا على الناس، ورفعوا بها صوتهم عالياً، فقد لزم الردُّ والتبيين حتى لا تتخدع العامة، وحتى يتبين الحق للخاصة، وتقام الحجة على المخالف، واستثناساً بمن يقول: إن وجود غالبية العلماء على منهج ما مطمئن لنفوس العامة.

الثانية: أننا إذ نرفض هذه الدعوى ونناقشها مناقشةً علميةً، فإننا لا نقصد التنقص من هؤلاء العلماء أو الخطُّ من قدرهم، وأولئك أناس قد مضوا إلى ربهم؛ تاركين لنا اجتهاداتهم، نأخذ منها ما وافق الكتاب والسنة ونطرح ما سواه، وكلامنا هنا هو في بيان أكذوبة أكثرية علماء الأشاعرة لا في فضلهم.

إذا عرفنا هذا؛ فإننا سنناقش القضية نقاشاً منهجياً دون خوض في تفاصيل الأسماء، ودون تطويل في سرد أسماء علماء أهل السنة والجماعة، مع التنبيه على أننا لن نورد العوام كما يورده بعض أهل العلم

على الحقِّ ونحن معنا قرينة واضحة الدلالة جلية الإشارة؛ وهي: أن الأشاعرة هم أكثر الأمة، وعلماءها هم علماء الأمة إلا ما شذ وندر؟! فغالب علماء الأمة من فقهاء ومفسرين ومحدثين ولغويين - بل وفاتحين مجاهدين - هم من الأشاعرة، وتلك القرينة التي لا يبحث بعدها عن قرينة، ولا ينقّب بعدها عن دليل.

هذه دعوى الأشاعرة الجدد في بيان أنهم على الحقِّ، وهي ليست دعوى جديدة، بل قررها ابن عساكر في كتابه: «تبيين كذب المفتري»^(١)، والسبكي في كتابه: «طبقات الشافعية الكبرى»^(٢).

وقبل تنفيذ هذه الدعوى؛ فإننا نود أن ننبه على قضيتين مهمتين:

الأولى: أن هذه المسألة لا ينبغي عليها أي عمل، والكلام فيها من أصله هو تضييع للجهد، وتسويد للصفحات دون طائل، ولولا ولوع الأشاعرة الجدد بإيراد هذه الحجة ونشرها، والتلبس على الناس بها،

(١) (ص ٤١٠) منه.

(٢) (٣/ ٣٧٣-٣٨٤) منه.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٨٩]، بل زد على ذلك قول الله لنبيه ﷺ: ﴿وَمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، واعضد ذلك بأن الطائفة المنصورة واحدة من بين ثلاث وسبعين فرقة، فلم هذا الولوع بالكثرة؟! ولم حشد الأسماء وعطفها على بعض؟! من كان مع أحمد بن حنبل في تلك الفتنة التي اقتلعت كل شيء حتى كبار المحدثين وكان صامدًا هو وقليل ممن معه؟! ومن كان مع ابن تيمية وتلاميذه وهم قلة في خضم بحر هائج من المخالفين لهم في وقته؟! كانوا قلة يجابهون أمواجًا من الفتن والشبهات، ومع ذلك نؤمن بأن الحق كان معهم لا مع الكثرة. ولم يكن العزوف عن التكثير بذكر العلماء -إلا ما كان على سبيل الرد- هو منهج أهل السنة والجماعة فقط، بل العزوف عن ذلك هو أيضًا منهج أئمة الأشاعرة، فأين

في الرد عليهم؛ وذلك أن هذا خارج عن محل النزاع، فأصل النزاع في أكثرية علماء الأشاعرة لا في أكثريتهم مطلقًا -وإن كانوا يدعون ذلك أيضًا!-

وسننقض دعاوهم من خلال الحقائق الآتية:

أولاً: السلف والولوع بالكثرة:

لم يكن حاضرًا عند السلف الصالح ولا من تبعهم ممن سار على طريقتهم هذا التكثير من الأسماء عند إقرار الحق، فإن الحق يعرف بدليله لا بكثرة أتباعه، وأهل السنة والجماعة في ذلك ماضون على طريقة القرآن في تبيان حال الكثرة الغالبة، وأنهم ليسوا دائمًا على الحق، بل ذم الكثرة في القرآن أكثر من مدحها، فإن شئت؛ فاقراً قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقوله: ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود: ١٧]، وقوله تعالى:

هذا التكثر في كلام أبي الحسن الأشعري، وكثرة أموالهم وجاههم وظهورهم، ويستدلون على بطلان السنة بقلة أهلها وغربتهم وضعفهم، فيجعلون ما جعله

الشيروازي؟! بل أين ذلك عند الإسفراييني والجويني وعبد القاهر البغدادي؟! **النبي ﷺ** دليل الحق وعلامة السنة دليل الباطل! فإن النبي ﷺ أخبرنا بقلة أهل

الحق في آخر الزمان وغربتهم، وظهور أهل البدع وكثرتهم»^(٣). والآمدني والإيجي؟! **النبي ﷺ** دليل الحق وعلامة السنة دليل الباطل! فإن النبي ﷺ أخبرنا بقلة أهل

البدع وكثرتهم»^(٣). وبذلك يتبين: أن الاسترسال في ذكر العلماء الذين قالوا بقولهم ما هو إلا أسلوب ترده أصول الاحتجاج وأدبيات

المطارحة العلمية، وهذا الصنيع صنيع من لا حجة له، ولا بينة لقوله، ولا قوة لمذهبه إلا بمثل هذا التكثر، فهب أننا قلنا: إن أكثر علماء الأمة أشاعرة! ثم كان ماذا؟

مضى من العلماء والأئمة! وصاروا يحشدون الموافق والمخالف! ويحرصون على إدخال كل من وجدوا له موقفاً ولو محتملاً، وبتروا

ثانياً: الإطار الزمني للكثرة: صحيح الدلالة على الحق، وعلى أن ذلك المنهج سليم صحيح؛ لكن يبقى الإشكال في تحديد زمن هذه الكثرة المعبرة: **علماء الأمة أشاعرة! ثم كان ماذا؟**

ثانياً: الإطار الزمني للكثرة: صحيح الدلالة على الحق، وعلى أن ذلك المنهج سليم صحيح؛ لكن يبقى الإشكال في تحديد زمن هذه الكثرة المعبرة: **علماء الأمة أشاعرة! ثم كان ماذا؟**

(٣) المناظرة في القرآن (ص ٥٧-٥٨).

العلماء الذين أنجبتهم الأمة؟!

مع ملاحظة أن أكثر الأسماء التي أوردتها هي لعلماء من القرن السابع فما بعد، وكأن أهل القرن الرابع والخامس لم يكن فيهم نبوغ ولا ظهور قوي للأشاعرة، ثم لا يرغب عن ذهنك أن الأشاعرة أنفسهم قد انقسموا ومروا بأطوار عديدة، إلى درجة أنه لا يمكن أن تنسب أشعرية اليوم إلى أشعرية الأمس! فالجويني والغزالي والرازي ليسوا على مثل قول أبي الحسن ولا الباقلاني وأبي علي بن شاذان وغيرهم؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ موضحًا هذه الحقيقة: «وأئمة أصحاب الأشعري كالقاضي أبي بكر بن الباقلاني، وشيخه أبي عبد الله بن عبد الله بن مجاهد، وأصحابه كأبي علي بن شاذان، وأبي محمد بن اللبان، بل وشيوخ شيوخه كأبي العباس القلانسي وأمثاله، بل والحافظ أبو بكر البيهقي وأمثاله، أقرب إلى السنة من كثير من أصحاب الأشعري المتأخرين الذين خرجوا عن كثير من قوله إلى قول المعتزلة أو الجهمية أو الفلاسفة؛ فإن كثيرًا من متأخري أصحاب الأشعريّ

الأكثرية على مر التاريخ الإسلامي؟

أم تقصدون أنه متى ما صار علماء منهج ما أكثرية في زمن معين كان ذلك المنهج هو الحق؟

فإن كان المقصود: أن أكثرية العلماء في وقت ما كاف في معرفة صحة المذهب.

قلنا: فما رأيكم بظهور المعتزلة في عصر من عصور التاريخ، وغلبتهم على مقاليد الإفتاء والقضاء، وذبوع صيتهم، وكون القضاة منهم، بل كان هو مذهب الدولة، وبه يفتى ويقضى بين الناس؟!

أكان هذا كافيًا في كون الحق معهم؟! وإن كان المقصود أن الأكثرية لا بد وأن تكون على مر التاريخ الإسلامي، وتقولون: إن علماء الأشاعرة هم أكثر العلماء على مر التاريخ الإسلامي، فما أبطلها من دعوى! فكم عدد العلماء الأشاعرة الذين يذكرون في مثل هذه القوائم مقابل علماء الأمة؟! فأكثر قائمة وقفنا عليها فيها مائة وأربعة وخمسون عالمًا:

فمن هؤلاء على مدى خمسة عشر قرنًا؟! وما ذا يمثلون بالنسبة للعدد المهول من

وبأي شيء صار أولئك هم علماء الأمة الذين تقاس بهم الكثرة؟! غاية ما يقال إحقاقاً للحق واتباعاً للعدل: كان علماء الأشاعرة في بعض العصور لهم الغلبة والظهور، خاصة في البلاد القريبة من الحكم المباشر لوالي المسلمين، كما كان لغيرهم غلبة في عصور أخرى كعلماء المعتزلة، ولسنا ننكر ذلك، لكننا ننازع في قضيتين وهما:

الأولى: دعوى أن علماء الأشاعرة هم أكثر علماء الأمة على مر التاريخ الإسلامي. الأخيرة: أن الأكثرية تدل على الحق. ثالثاً: معيارية الأشعرية: من يضع هذه قوائم العلماء التي يصدرها الأشاعرة الجدد تحت الفحص والتدقيق يجد أنها شاملة على أشاعرة خلص، وعلى من قال ببعض عقائد الأشعرية وإن لم يقل بأصولهم، وعلى من كانت له بعض المواقف في بيان فضلهم مع كونه ليس منهم، ويحق لنا حيثئذ أن نتساءل: ما المعيار الذي تم وضعه لجعل الرجل أشعرياً؟ إن شئت أن تعرف المعيار لديهم؛ فاقراً

خرجوا عن قوله إلى قول المعتزلة أو الجهمية أو الفلاسفة؛ إذ صاروا واقفين في ذلك كما سننبه عليه^(٤).

ورغم ذلك فيبقى السؤال قائماً في حق هؤلاء العلماء من القرن السابع إلى القرن الخامس عشر: وكم هم في عددهم؟ بل ومن هم بالنسبة إلى القرون السابقة؟! لا شك أن السؤال في مثل هذا المقام يكفي عن الإجابة:

فهم بلا شك أقل عدداً من أهل القرون الأولى ممن كانوا قبل أبي الحسن الأشعري وخالفهم الأشاعرة في مسائل.

وهم بلا شك أقل فضلاً عن أهل القرون المفضلة، بل وأفضلية الطور الأول من الأشاعرة على ما رست عليه الأشعرية المعاصرة لا تخفى على أحد.

وهم بلا شك أقل اجتهاداً من أهل تلك القرون ممن كان الاجتهاد فيهم أكثر بكثير ممن جاء بعدهم في الجملة.

فأين الأكثرية المزعومة؟! وأين دلالة الحق التابعة لتلك الأكثرية؟! إن شئت أن تعرف المعيار لديهم؛ فاقراً

(٤) شرح الأصفهانية (ص ١٢٧).

قول بعضهم: «وكان [أي: ابن جرير] معاصرًا للإمام الأشعري، وتوفي قبله، فلا يبعد أن يكون وقف على شيء من تصانيف الإمام أبي الحسن على كثرتها، واستفاد منها، لا سيما وهما في بلد واحد، ومن أمعن النظر في تفسير الطبري لا يستبعد ذلك... بل نزيد ونقول: إنه لا يبعد أن يكون انتسب إليه فيما لم يصلنا من كتبه»^(٥).

فانظر كيف جعلت هذه الخيالات معيارًا ليكون ابن جرير الطبري أشعريًا! وإن كنت تتعجب من هذا الصنيع، فليس هو بأعجب مما صنعوه بالدارقطني حيث نسبوه إلى الأشعرية؛ لأنه قبل رأس الباقلائي!^(٦)

وإني لمتعجب أشد العجب كيف أنهم يوردون الإمام الدارقطني في الأشاعرة وهو الذي قال عنه الحافظ الذهبي في نفس الكتاب الذي يحتجون به: «وصح عن الدارقطني أنه قال: ما شيء أبغض إلي من علم الكلام. قلت [أي: الذهبي]: لم يدخل

(٥) أهل السنة الأشاعرة (ص ٢٥٢).

(٦) «أهل السنة الأشاعرة» (ص ٢٥٤)، و«سير

أعلام النبلاء» للذهبي (١٣/٢١٤).

(٧) «سير أعلام النبلاء» (١٢/٤١٨).

كُرْسِيِّهِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿البقرة:

٢٥٥﴾، وكرسيه جسم، والأرضون السبع
والسموات السبع عند الكرسي كحلقة في
أرض فلاة، وليس كرسية علمه كما قالت
الجهمية^(٩).

ونقل عنه ابن القيم أيضًا: «قال في
عقيدته: وأن الله سميع بصير عليم
خبير، يتكلم ويرضى ويسخط ويضحك
ويعجب، ويتجلى لعباده يوم القيامة
ضاحكًا، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا
كيف يشاء فيقول: هل من داع فأستجيب
له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من
تائب فأتوب عليه؟ حتى يطلع الفجر،
ونزول الرب تعالى إلى سماء الدنيا بلا كيف
ولا تشبيه ولا تأويل، فمن أنكر النزول
أو تأول فهو مبتدع ضال، وسائر الصفوة
العارفين على هذا. ثم قال: وأن الله استوى
على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل،
فلا استواء معقول والكيف مجهول»^(١٠).

وهذا بلا شك يناقض أصول الأشاعرة

أصلًا مطردًا عنده، ودون أن ينطلق من
منطلقات الأشاعرة وأصولهم في التأويل،
ومن هؤلاء:

١- أبو نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ):
وقد ذكره ابن عساكر في كتابه «تبيين
كذب المفترى»^(٨)، ولكن هذا مخالف
لما كتبه هو في معتقده، فإنه كان مخالفًا
لما تقرره الأشاعرة، ومن ذلك ما نقله
عنه ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ حيث قال: «وقال
الحافظ أبو نعيم في كتابه «محجة الواثقين
ومدرجة الوامقين» تأليفه: وأجمعوا أن الله
فوق سمواته، عال على عرشه، مستو عليه
لا مستول عليه كما تقول الجهمية: إنه بكل
مكان؛ خلافًا لما نزل في كتابه: ﴿عَمَّا أَمْنْتُمْ مَن
فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْصِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ
فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦]، ﴿إِلَيْهِ
يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ
يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى
الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، له العرش
المستوي عليه، والكرسي الذي وسع
السموات والأرض، وهو قوله: ﴿وَسِعَ

(٩) «مجموع الفتاوى» (٦٠ / ٥).

(١٠) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (٢ / ٢٧٩).

(٨) (ص ٢٦٤).

ومذهبهم.

٢- البغوي (ت ٥١٦هـ):

عدوه -أيضاً- من الأشاعرة مع أن له تقارير عديدة في بيان معتقده، والتي يخالف فيها الأشاعرة، ومن ذلك قوله: «باب بيان أن الأعمال من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص والرد على المرجئة».

ثم أورد بعض الآيات والنصوص ثم قال: «وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي: إن للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً وسنناً، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأينها لكم حتى تعملوا بها، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص. واتفقوا على تفاضل أهل الإيمان في الإيمان وتباينهم في درجاته، قال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل. وقال معاذ: اجلس بنا نؤمن ساعة. وكرهوا أن يقول الرجل: أنا مؤمن حقاً، بل يقول: أنا مؤمن، ويجوز أن يقول:

أنا مؤمن إن شاء الله؛ لا على معنى الشك في إيمانه واعتقاده من حيث علمه بنفسه، فإنه فيه على يقين وبصيرة، بل على معنى الخوف من سوء العاقبة... وفي الحديث بيان أن الأعمال من الإيمان، حيث فسر الإيمان بإقام الصلاة»^(١١).

وهذا مخالف لاعتقاد الأشاعرة في الإيمان كما هو معلوم.

ومن أوضح عباراته في نبد التأويل قوله: «وعلى هذا مضى سلف الأمة وعلماء السنة، تلقّوها جميعاً بالإيمان والقبول، وتجنبوا فيها عن التمثيل والتأويل، ووكلوا العلم فيها إلى الله عز وجل، كما أخبر الله سبحانه وتعالى عن الراسخين في العلم، فقال عز وجل: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]»^(١٢).

فانظر كيف صرح بنفي التأويل على خلاف الأشاعرة.

(١١) «شرح السنة» (١/ ٣٣-٤٧).

(١٢) «شرح السنة» (١/ ١٧١).

٣- ابن كثير (ت ٧٧٤هـ):

بل يرجع في ذلك إلى كتب الشخص نفسه وتقريراته. وإذا رجعنا إلى كتب ابن كثير نجد أنه يخالف الأشاعرة، فها هو يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، يعني: لفصل القضاء بين خلقه، فيجيء الرب تعالى لفصل القضاء كما يشاء، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفاً صفوفاً^(١٤). وواضح أن هذا مخالف لمذهب الأشاعرة في صفة المجيء.

ومن أظهر ما يدل على أنه كان على خلاف مذهب الأشاعرة تشنيعه على ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ من أجل التأويل، فقد قال رَحِمَهُ اللهُ: «والعجب كل العجب منه أنه كان ظاهرياً حائراً في الفروع، لا يقول بشيء من القياس، لا الجلي ولا غيره، وهذا الذي وضعه عند العلماء، وأدخل عليه خطأ كبيراً في نظره وتصرفه، وكان مع هذا من أشد الناس تأويلاً في باب الأصول وآيات الصفات وأحاديث الصفات؛ لأنه

وهذا من أعجب ما تقرأ من ادعاءاتهم على العلماء، وقد استدلوا على ذلك بما أورده ابن حجر من أن ابن كثير قال لابن القيم رَحِمَهُمَا اللهُ: «أنت تكرهني لأنني أشعري»، فقال له: «لو كان من رأسك إلى قدمك شعر ما صدقتك الناس في قولك: إنك أشعري وشيخك ابن تيمية»^(١٣).

ويكفي في بطلان هذا الادعاء سوق هذه الرواية، فماذا تريد أكثر من أن ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ لم يصدقه في ذلك؟! بل قال مؤكداً كلامه: لو كان من رأسك إلى قدمك شعر ما صدقتك الناس في قولك: إنك أشعري! فكيف يكون تلميذ أحد كبار مبطلي مذهب الأشاعرة أشعرياً؟! فشيخ ابن كثير - كما هو معلوم - هو شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ.

ثم إن تقرير عقائد الناس وبيان منهجهم لا يكون بسرد مثل هذه الحكايات التي ليس لها إسناد تقوم عليه، ولو كان لها سند لم تكن أيضاً مستنداً لإثبات العقائد،

(١٤) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٩٩).

(١٣) «الدرر الكامنة» (١/ ٦٥).

كان أولاً قد تزلزل من علم المنطق»^(١٥). أهل السنة والجماعة، مخالف للأشاعرة، وكيف يشنع على ابن حزم من أجل تأويله آيات الصفات ثم يذهب فيدخل في ذلك الباب؟! بل كتب

فإن قيل: إن ابن كثير قد ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية، ومعروف أن شرط التدريس في الدار -فضلاً عن تولي مشيختها- هو أن يكون أشعرياً، فهذا دليل قاطع على أشعريته، وإقرار من نفسه على نفسه.

قلنا: لا يلزم من توليه مشيخة الدار أن يكون أشعرياً، بل لو كتب عن نفسه أنه أشعري لا يلزم من ذلك أن يكون أشعرياً حقيقة؛ وذلك لأنه ربما قد راعى المصلحة العامة، فعقيدته تؤخذ من تقريراته العلمية، لا من إقراره لو كان منه إقرار وكتابة بأنه أشعري في موضع يحتتمل مراعاة المصلحة. فإن قيل: هذا مجرد ظن وتخمين لا يرد قوة هذه الحجة.

نقول: فما قولكم في المزي؟ فقد تولى مشيخة الدار قبل ابن كثير، وهو من أعلام

(١٦) «البداية والنهاية» (١٤ / ١٠١).

(١٥) «البداية والنهاية» (١٢ / ١١٣).

من الخلل المنهجي؛ نود أن نأتي على ما تبقى من بنيانها، فقد سبق بيان أن غاية ما عدوه من العلماء قد بلغوا مائة وخمسين عالماً، وحتى إن كانوا أضعاف ذلك، فمن هؤلاء أمام الجمع الغفير من العلماء من أئمة أهل السنة والجماعة؟! ومن نافلة القول أن نقول: إن كل

الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان إلى القرن الرابع ليسوا من الأشاعرة، فمن وفاة النبي ﷺ إلى تحول الأشعري عن الاعتزال زهاء أربعة قرون ليس فيها أشعري واحد، وهم ممن زكاهم النبي ﷺ بأنهم خير القرون، فأبي نقص كانوا فيه في الاعتقاد حتى أكمله أبو الحسن الأشعري؟! فإن قالوا: هو لم يأت بجديد، وإنما أصوله هي أصول السلف قبله.

قلنا: هذا ادعاء باطل يهدمه أدنى نظر في المسائل العقديّة، فمسألة واحدة على سبيل المثال وهي مسألة العلو خالف فيها الأشاعرة سائر السلف، وقد عد الذهبي رحمه الله من التابعين أكثر من مائة وخمسين عالماً من الحجاز والشام وخراسان والمدينة

تلك المكانة التي اعترف بها المخالف قبل الموافق. واستمرت المكائد تحاك ضده حتى وهو في آخر شيخوخته^(١٧). وكان سبب ذلك كما بينه السبكي بقوله: «إن صدر الدين المالكي لا ينكر رتبة المزي في الحديث؛ ولكن كأنه لاحظ ما هو شرط واقفها من أن شيخها لا بد وأن يكون أشعري العقيدة، والمزي وإن كان حين ولي كتب بخطه بأنه أشعري إلا أن الناس لا يصدقونه في ذلك»^(١٨). فتأمل هذا الكلام الصادر من السبكي وهو من هو في أشعريته، فإن كان مجرد الإقرار يكفي في بيان المذهب لم ضيقوا عليه؟! ولم حاولوا مرات عزله عن ذلك المنصب؟! بل لم كان الناس -وهم عوام- لا يصدقون إقرار المزي على نفسه؟! كل ذلك يدل دلالة واضحة على أن مجرد تولي الدار بل والإقرار لا يعني أنه أشعري حقيقة.

رابعاً: علماء أهل السنة:

لقد تلبست هذه الدعوى بحزمة كبيرة

(١٧) «مقدمة كتاب تهذيب الكمال» لبشار عواد معروف (٢٧/١).

(١٨) «طبقات الشافعية الكبرى» (٣٩٨/١٠).

ومصر والبصرة والكوفة كلهم يخالف قولهم قول الأشاعرة في هذه المسألة، وهؤلاء ممن لهم قول صريح في المسألة، فكيف بمن أوردتهم اعتراضاً؟! وهذا في مسألة واحدة، فكم عدد من خالفهم الأشاعرة في المسائل الأخرى؟! وهذا جمع مؤلف واحد، وجهد رجل واحد، فكيف بما جمعه غيره؟!^(١٩)

وإن شئت أن تقف على نزر يسير من علماء أهل السنة والجماعة؛ فاقرأ كلام ابن المبرد الحنبلي حيث يقول: «ونحن نذكر جماعة ممن ورد عنهم مجانبة الأشاعرة، ومجانبة الأشعري... منهم أبو محمد الحسن بن علي البرهاري، ومنهم زاهر بن أحمد، ومنهم أبو محمد الحسن بن أحمد البغدادي الحريري، ومنهم أبو علي الرفاء، ومنهم أبو حامد الشاركي، ومنهم أبو يعقوب بن زوران، ومنهم الإمام أبو محمد عبد الله بن عدي الصابوني، ومنهم يحيى بن عمار، ومنهم أبو إسحاق القراب، ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد النهاوندي، قال الدينوري: لقيت ألف شيخ على ما عليه

النهاوندي في ذلك [أي: في ذم الأشعرية]، ومنهم أبو علي الحداد، ومنهم أبو عبد الله الدينوري، ومنهم الإمام أحمد بن حمزة، ومنهم أبو سعيد الزاهد الهروي، ومنهم أبو الطيب سهل بن محمد الصعلوكي، ومنهم أبو حامد الإسفراييني، ومنهم أبو بكر القفال، ومنهم أبو منصور الحاكم، ذكر الأنصاري وغيره مجانبته لهم وذمه، ومنهم أبو عمر البسطامي، ومنهم أبو المظفر الترمذي حبال بن أحمد، ومنهم أبو القاسم الحاكمي، ومنهم أبو عبد الله محمد بن الحسين السلمي، ومنهم هيزم بن محمد بن إبراهيم بن هيزم، ومنهم أبو نصر بن الصابوني، ومنهم الحسن بن أبي أسامة المكي، ومنهم منصور بن إسماعيل الفقيه كان مجانباً لهم، ومنهم زيد بن محمد الأصبهاني، ومنهم أحمد بن أبي نصر الماليني...»^(١٩).

وقد عد أسماء كثيرة من محدث وعابد وفقه وإمام، كلهم ممن نصوا على أنهم

(١٩) «جمع الجيوش والداكر على ابن عساكر» (ص ١٥٠-١٥١).

مجانبون للأشاعرة، صدرهم بأبي الحسن البربهاري، وختمهم بجمال الدين يوسف المرداوي، ثم قال بعد ذلك: «وقد رأينا في أصحابنا ورفقائنا ومن اشتغل معنا أكثر من ألف واحد على مجانبتهم ومفارقتهم، والوقوع فيهم، وما تركنا ممن تقدم أكثر ممن ذكرنا، فهذه لعمرك الدساكر لا العسكر الملق الذي لفته ابن عساكر، بالصدق والكذب الذين لا يبلغون خمسين نفساً بمن قد كذب عليهم، ولو نظول تراجم هؤلاء كما قد أطال في أولئك، لكان هذا الكتاب أكثر من عشر مجلدات، ووالله ثم والله لما تركنا أكثر ممن ذكرنا، ولو ذهبنا نستقصي ونتبع كل من جانبهم من يومهم إلى الآن لزدوا على عشرة آلاف نفس»^(٢٠).

وأخيراً:

ما عساهم أن يقولوا عن هؤلاء ومن جاء بعدهم؟! وقد أغفلنا القرون الثلاثة لعدم إمكانية حصرهم بين دفتي كتاب، فهل بقي بعد هذا هؤلاء مسحة خجل يتراجعون من

أجلها عن دعواهم؟!!

وهؤلاء الذين ذكرهم ابن المبرد يربون على الأربعمائة عالم، كلهم في زمن الأشعري وبعده، وأولئك من ذكرهم الذهبي في مسألة واحدة، وإن شئت أن تزداد فخذ ما كتبه الإمام ابن القيم رحمه الله في مسألة واحدة من عقيدة التابعين وتابعيهم وأقوال الأئمة الأربعة وتابعيهم، وأقوال أئمة الحديث والتفسير واللغة والزهاد^(٢١)، ولو شئت بعد هذا كله الزيادة لزدناك، فإنه معين لا ينضب ماؤه، ولا ينقطع وصله، ولا يختلط بهذا السلسيل شوائب ولا كدر، فأين من هذه الكثرة الكاثرة من يذكرونهم من العلماء -الذين قد رجح منهم أغلبهم ليموت على عقيدة عجائز نيسابور- ممن لا يساوون عشر معشار علماء الأمة؟! وهل يمكن بعد ذلك أن يدعي الأشاعرة الجدد أن علماء الأشاعرة هم أكثر علماء الأمة؟!!

(٢١) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص ١١٨)

وما بعدها.

(٢٠) المصدر السابق (ص ١٥١).

فضل تصحيح النية قبل النوم

أسرة التحرير

عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل؛ فغلبته عيناه حتى أصبح؛ كتب له ما نوى، وكان نومه صدقة عليه من ربه عز وجل». «صحيح النسائي» (١٧٨٦)، «صحيح ابن ماجه» (١٣٤٤).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «من كان له ورد يصليه من الليل، فنام ومن نيته أن يقوم إليه فغلب عينه نوم؛ كتب له أجر ورده، وكان نومه عليه صدقة». «طريق الهجرتين» (ص ٣٦٠).

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ: «من كانت عادته القيام إلى صلاته المكتوبة أو إلى نافلته من الليل، فغلبته عينه، فقد جاء عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يكتب له أجر صلاته، ونومه صدقة عليه». «الاستذكار» (٣٧٦ / ٢).

هل من مجيب؟!

وصلتنا عدة رسائل من القراء الكرام، يشيدون بالمجلة السلفية وإنها سدت فراغاً في الساحة الدعوية، وأصلحت خللاً في الصحافة الإسلامية، وأحيت في نفوس المسلمين عامة والسلفيين خاصة اعتزازاً بفهم الكتاب والسنة في ضوء منهج الصحابة والتابعين لهم بإحسان؛ مما يؤدي إلى رسوخه في أنفسهم، وتفاعلهم في نشره، والدعوة له وإليه؛ والتي هي أحسن للتي هي أقوم.

واقترحوا على أسرة التحرير عدة أمور؛ نلخصها:

١- أن تصدر المجلة شهرياً غرة كل شهر هجري.

٢- أن يكون للمجلة طبعة ورقية؛ ليتم توزيعها على أهل العلم وطلابه، ومراكز أهل السنة والجماعة في العالم.

٣- أن يكون للمجلة موقع رسمي على الشبكة العنكبوتية.

٤- أن يتم ترجمة المجلة السلفية إلى اللغات العالمية الحية؛ ليصل المنهج السلفي النقي إلى كل المسلمين دون واسطة؛ لتبلغهم الحجة الرسالية.

المجلة السلفية: نشكر القراء الكرام على ثقتهم التي نعزز بها، وعلى تشجيعهم المستمر الذي نفخر به، ونعد قراءنا الكرام: أن نستمر في تطوير المجلة، والسعي الحثيث لتحقيق اقتراحاتهم، وإخراجها إلى عالم الواقع.

ونحن إذ نضع ذلك بين يدي عموم الأمة، لنهيب بإخواننا الأفاضل ممن وسع الله عليهم بالمال الحلال: أن يمدوا يد العون والمساعدة للمجلة؛ لتتمكن من تحقيق اقتراحات القراء الكرام. نسأل الله أن يبارك في الجميع، وأن يوفقهم لكل خير فيه نصره الإسلام والسنة والسلفية. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

للتواصل والاستفسار - واتس أب: +962795515806

المشرف العام



منبر أهل السنة والجماعة في زمن الغربة

جميع المراسلات باسم المشرف العام - واتس آب: 00962795515806

”

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ:
«أهل السنة يموتون ويحيا ذكرهم،
وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم؛
لأن أهل السنة أحيوا ما جاء به
الرسول ﷺ، فكان لهم نصيب من
قوله: (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ)، وأهل
البدعة شنؤوا ما جاء به الرسول ﷺ،
فكان لهم نصيب من قوله: (إِنَّ شَانِئَكَ
هُوَ الْأَبْتَرُ)».

«مجموع الفتاوى» (٢٢٨/١٦).

“